

الكلية الرومانية والنزعة الإنسانية

د. محمد جمال الكيلاني (*)

تمهيد

اجمع المؤرخون أن اسم المدرسة الكلية مشتق من المكان الذي كان يُدرس فيه أنتيستينيس مؤسس المدرسة الكلية في ضاحية كينوسارجيس Kynosarges والتي تعني الكلب الأبيض، هذا فضلاً عن أن أنتيستينيس كان يُلقبُ بـ Haplokyon والتي تعني الكلب البسيط، من حيث أسلوبه البسيط في العيش وتركه للبذخ والترف، حيث كان يتجول في المدينة متكاً على عصاه وحاملاً حقيبته (pera) التي تحتوي على زاده، مفضلاً التنقل والترحال والعيش في الخلاء دون الإقامة في منزل محدد، لاعتقاده أن العالم ملك لكل إنسان.

وتمثل هدف المدرسة الكلية القديمة من الحياة في أن يعيش الإنسان حياة الفضيلة وفقاً للطبيعة الخيرة. وهذا يعني رفض جميع الرغبات السلطوية مثل تملك القصور الفخمة والذهب واسترقاق الناس والعنف والصراع والأنانية، والدعوة للعيش ككائنات منطقية وكائنات أخلاقية، حيث يمكن للناس أن يكتسبوا السعادة من خلال التدريب الصارم والعيش بطريقة طبيعية.

لقد اعتقدوا أن العالم ينتمي إلى الجميع بالتساوي، وأن المعاناة والآلم ناتجان عن أحكام زائفة حول ما كان يعتقد خطأً أنه ذا قيمة وبسبب العادات والتقاليد التي لا قيمة لها والتي أحاطت بالمجتمع.

وقد احتوت المدرسة الرواقية (المبكرة- والرومانية) الكثير من أفكار المدرسة الكلية مثل فكرة العيش وفقاً للطبيعة وفكرة المواطنة العالمية؛ وذلك لأن الكلب كان يؤمن إيماناً راسخاً بأن العالم كله ملك للجميع، ومع ازدهار الرواقية في القرن الثالث قبل الميلاد، خضعت

(*) أستاذ مساعد الفلسفة اليونانية- كلية الآداب بالإسكندرية - جامعة قناة السويس.

الكلية كمشاط فلسفي جاد للانحدار، ولم يكن هناك إحياء للكلية إلا في العصر الروماني. وانتشرت الكلية مع ازدهار الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي.

حقيقة لم ينتشر الكليين بصورة واضحة في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، ومع ذلك تم إحيائها في القرن الأول الميلادي بكامل قوتها ومبادئها، وربما يرجع ذلك إلى ازدهار الإمبراطورية الرومانية وفقدان الاستقلال اليوناني في عهد فيليب المقدوني والإسكندر الأكبر الذي أدى إلى الشعور بالعجز والإحباط بين كثير من الناس، مما سمح للمدرسة الكلية التي أكدت على الاكتفاء الذاتي والسعادة الداخلية بالازدهار مرة أخرى، فقد انتشر الكليون في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية للبحث على الفضيلة؛ وتحرير النفس من رغباتها والقيود الاجتماعية التي لا تتفق مع طبيعة الإنسان الفاضل.

الكلية الجديدة أو الرومانية لم تدعو إلى العزلة عن المجتمع بقدر ما كانت تدعو إلى الانخراط في المجتمع الروماني لتشكيل قيمه ومبادئه طبقاً لتعاليم المدرسة الكلية المبكرة، فكان الكليون يقفون على كل شارع من شوارع روما والمدن الخاضعة للإمبراطورية الرومانية مما دعا بعض السوفسطائيين الجدد يسخرون منهم حيث يقول أيلوس أرسطيدس (١١٧-١٨١م): «إنهم يترددون على مداخل البيوت ويتحدثون إلى الخدم لوعظهم، أكثر من الأسياد، يعرضون عن حالتهم المتدنية والرتة باستخدام الوقاحة والتبجح.»

لقد مارس الكليون الجدد تأثيراً كبيراً على الحياة الاجتماعية والسياسية الرومانية. أبعد من قيمتها الفلسفية والأخلاقية الجوهرية، مثل ديمتر يوس الكلي الذي انتقد أباطرة الرومان أمثال نيرون وفيسباسيان. فإن تأثير هذه الفلسفة الكلية على الحياة السياسية في أواخر الجمهورية والإمبراطورية الرومانية المبكرة حد من تصرفات وسلوكيات الأباطرة والطبقة العليا من المجتمع الروماني، واعتبرت الكلية بمثابة هيئات رقابة فلسفية، حيث تم التخلص من الأفكار والممارسات غير الضرورية وغير المقبولة لدى الحكام.

وسوف نوضح من خلال هذا التمهيد أعلام المدرسة الكلية بمراحلها الثلاث كالتالي:

أولاً: الكلية الهلينية.

١- أنتيستينيس الأثيني Antisthenes من حوالي ٤٤٦ ق.م - ٣٦٦ ق.م.

٢- ديوجين السينوبي Diogenes من حوالي ٤٠٤ ق.م - ٣٢٣ ق.م.

- ٣- مونيموس الصراقوسي Monimos حوالي القرن الرابع ق.م تلميذ ديوجين السينوبي.
- ٤- أونيسيكريتوس الآيجيني Onesikritos ازدهر عام ٣٣٠ ق.م تلميذ ديوجين السينوبي.
- ٥- هيجيسياس السينوبي Hegesias of Sinope حوالي ٣٢٥ ق.م تلميذ ديوجين السينوبي.
- ٦- كراتيس الطبيي Krates ازدهر حوالي ٣٢٦ ق.م.
- ٧- هيبارخيا الماروني Hipparchia ازدهرت حوالي ٣٠٠ ق.م في مارونيا وهي زوجة كراتيس.
- ٨- ميتروكليس الماروني Metrokles ازدهر حوالي ٣٠٠ ق.م في مارونيا وهو أخو هيبارخيا.

ثانياً: الكلية الهلنستية:

- ١- بيون البورينسي Bion of Borysthenes من حوالي ٣٢٥ ق.م إلى ٢٥٠ ق.م.
- ٢- تيمارخوس السكندري Timarchus of Alexandria ازدهر حوالي ٢٧٥ ق.م.
- ٣- ديمتريوس السكندري Demetrius of Alexandria ازدهر حوالي ٢٧٥ ق.م.
- ٤- مينيبوس الفينيقي Menippos ازدهر حوالي ٢٧٥ ق.م.
- ٥- مينيديموس اللامبساكي Menedemos ازدهر حوالي ٢٥٠ ق.م تلميذ كولوتيس الكلبي.
- ٦- تيليس الميجاري Teles of Megara ازدهر حوالي ٢٣٥ ق.م.

ثالثاً: الكلية الرومانية:

- ١- ديمتريوس الكورنثي Demetrius of Corinth من حوالي ١٠ ميلادية- ٨٠ ميلادية.
- ٢- إيسودورس Isidorus ازدهر حوالي ٦٠ ميلادية.
- ٣- أجاتوبولوس Agathobulus ازدهر حوالي ١٢٥ ميلادية استاذ بيريجنوس الكلبي.
- ٤- سيكدوس الصامت Secundus the Silent ازدهر حوالي ١٣٠ ميلادية.
- ٥- ديموناكس القبرصي Demonax of Cyprus ازدهر حوالي ١٥٠ ميلادية.

- ٦- أينوموس Oenomaus of Gadara ازدهر حوالي ١٥٠ ميلادية الذي سخر من المعتقدات الدينية الزائفة عند الرومان والتي لا تليق بالآلهة.
- ٧- باناكراتيس الأثيني Pancrates of Athens ازدهر حوالي ١٦٠ ميلادية.
- ٨- بيريجنوس Peregrinus Proteus ازدهر حوالي ١٦٥ ميلادية قتل نفسه في الألعاب الأولمبية.
- ٩- هيراكليوس Heraclius ازدهر حوالي ٣٦٠ ميلادية الناقد للإمبراطور جوليان.
- ١٠- هوروس Horus ازدهر حوالي ٣٧٥ ميلادية ملاكم واصبح فيلسوفا كلبيا.
- ١١- سالوستيوس Sallustius of Emesa من حوالي ٤٣٠م- ٥٠٠ ميلادية أفلاطوني محدث وتحول إلى الكليية.

أما عن تساؤلات الدراسة فتمثل فيما يلي:

- ١- هل الكليية مدرسة فلسفية نسقية أم مجرد رافد من المدرسة السقراطية؟
- ٢- لماذا أنصب هدف الكليية سواء كانت المبكرة أو في مرحلة الإحياء الكليي الجديد على نقد الملوك والأباطرة أو السياسة بصفة عامة؟
- ٣- هل تمسك الكلييون الجدد بكل مبادئ كليية أنتيستينيس ودوجين السينوبي؟ أم امتزجت بالتيارات الفلسفية المعاصرة لها في المرحلة الرومانية مثل الرواقية الرومانية والسوفسطائية الجديدة والفيثاغورية الجديدة؟
- ٤- ما هو الهدف من إحياء الكليية الهلينية في العصر الروماني؟ هل كان لحاجة فلسفية أم لرغبة سياسية؟
- ٥- ما هو السياق الفكري الذي ربط بين الكليية الهلينية والكليية الرومانية؟ وسوف اعتمد على المنهج التاريخي التحليلي المقارن لبيان أعلام الكليية الرومانية وأهم مساهماتها مقارنة بالكليية الهلينية.

أولاً: الكلية الهلينية

يعتبر أنتستينس (٤٤٥-٣٦٥ ق.م) مؤسس الكلية المبكرة أو القديمة من ضمن الفلاسفة الذين أحيوا جانباً واحداً من فلسفة سقراط، شأنه في ذلك شأن إقليدس الميغاري مؤسس المدرسة الميغارية حوالي ٣٩٩ ق.م، وأيضاً أرسطوبس القورينائي (٤٣٥ ق.م-٣٥٦ ق.م) مؤسس المدرسة القورينائية.

ولعل ما أعجب به أنتستينس في شخصية سقراط، ليرى في سقراط الفيلسوف ورجل العقل والحكمة، بل سقراط الإنسان الزاهد ذو الشخصية المستقلة، مما جعل أنتستينس يصعد بهذا الاستقلال السقراطي والاكتفاء الذاتي إلى جعله مثلاً أعلى أو غاية في ذاته، فالفضيلة في نظره هي ببساطة، الاستقلال عن كل متع الدنيا وثوراتها. والواقع أنها كانت مفهوماً سلبياً- فهي تعني الهجر أو النبذ والتخلي، والتكشف. ومن ثم فقد تغير الجانب السلبي في حياة سقراط على يد أنتستينس إلى هدف إيجابي أو غاية إيجابية.^(١)

فكان قول أنتستينس أن الفضيلة أمر قابل للتعلم، وأنها في حد ذاتها كافية لضمان بلوغ السعادة، نظراً لأنها لا تحتاج إلى أي أمر آخر سوى جلد سقراط وقوة احتماله، فالفضيلة مسلك يكمن في الأفعال، وأنها ليست بحاجة إلى كم كبير من الأقوال أو من المعارف، وأن الرجل الحكيم مكتف بذاته، لا يسلك في تصرفاته مسلكاً يُمليه عليه القوانين القائمة، بل هو يتصرف وفقاً لما يُمليه عليه قانون الفضيلة، ذلك السلاح الذي يستحيل انتزاعه من الفضلاء.^(٢)

لقد ذهب الكليون القدامى بدءاً من أنتستينس وديوجين السينوبي (٤٠٤ ق.م-٣٢٣ ق.م) ومونيموس الصراقوسي حوالي القرن الرابع ق.م وأونيسيكريتوس الأيجيني الذي ازدهر عام ٣٣٠ ق.م وهيجيسياس السينوبي الذي ازدهر حوالي ٣٢٥ ق.م وكرايتيس من طيبة الذي ازدهر حوالي ٣٢٦ ق.م. وزوجته هيبارخيا من مارونيا التي ازدهرت حوالي ٣٠٠ ق.م وأخوها ميتروكليس من مارونيا الذي ازدهر حوالي ٣٠٠ ق.م. إلى أن الفضيلة هي وحدها الخير والرذيلة

(١) فريديك كوبلستون: تاريخ الفلسفة. م اليونان وروما. ترجمة د، إمام عبد الفتاح إمام. المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة عدد ٤٣٦. القاهرة ٢٠٠٢ ص ١٨٠.

(٢) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. ترجمة. إمام عبد الفتاح إمام. مراجعة محمد حمدي إبراهيم. المركز القومي للترجمة. القاهرة. ٢٠٠٨. صص ١٦-١٧.

هي الشر الوحيد ولا شيء عدا هذا يمكن أن يكون خيراً أو شراً. وكل شيء آخر «غير مهم» والملكية واللذة والثروة والراحة بل الحياة نفسها لا يجب أن تُعد خيرات، والفقر والمرض والعبودية والموت نفسه لا يجب أن تُعد ضروراً، وأن تكون حراً ليس أفضل من أن تكون عبداً، لأن العبد إذا كانت لديه فضيلة فإنه هو نفسه يكون حراً، ويكون قد ولد حاكماً وفاضلاً.^(١)

ومع ذلك فقد أكدت المدرسة الكليية على حرية الإنسان، فعندما سُئل ديوجين السينوبي عن أجمل شيء بين البشر، قال حرية التعبير والكلام^(٢)

واعتبرت الكليية أن الحرية لها ثلاثة جوانب وهي:

١- الحرية الشخصية: المظهر والشكل والمأكل والمشرب.

٢- حرية التصرف في السعي وراء الفضيلة. والقناعات الذاتية، بمعنى التحرر من الالتزامات الاجتماعية والمالية.

٣- حرية التعبير: بمعنى حرية الكلام بصراحة، وكان الشخص الذي لم يكن معتمداً على المجتمع حراً في التعبير عن رأيه في نقده، حتى صاغوا مصطلح Kosmopolites أي المواطنة العالمية، لمواجهة ما سمي بالمواطنة الآثينية، أو ما سمي في عهد الكليية الجديدة بالمواطنة الرومانية، وجاء تأكيد الكلييون بصفة عامة على أنهم بدلاً من ذلك مواطنين في العالم الطبيعي الأكبر.^(٣)

الأمر الذي يُنبئ بمؤثرات بوذية مبكرة على الفكر الكليبي الهليني.

على أية حال: فقد كان الكلييون الهلينيون يستخفون عمداً بكل تعليم وكل تهذيب بل وبكل حضارة منغلقة إيماناً منهم بالحضارة العالمية، لقد رتبوا أمرهم على تجاهل، بل وحتى على السخرية بصراحة من التقاليد والحضارات المألوفة، لقد صمموا على أن يتخلوا عنها كأمر

(١) وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع. بيروت. ١٩٨٧. ص ١١٠.

(٢) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. فقرة ٦٩. ص ٦٣.

(3) Dennis Schutijser. Cynicism as a way of life: From the Classical Cynic to a New Cynicism. Akropolis. 2017. p34.

دنيوية ثانوية لا لزوم لها، وتخلوا عن المناصب الدنيوية، بل عن التملك بكل أشكاله - لأن العبودية في نظرهم يمكن تحملها بهدوء كامل وعقل وواع، ويمكن تركها مطلقة للعبد ليبقى على تكامله وفضيلته، فصاروا متسولين متجولين يعظون الناس من خداعات وفساد العالم، داعين الناس إلى حياة صالحة بسيطة مفروض أنها طبيعية، فيها ينبغي أن يكون الكل سواء ويكون البشر كله أسرة واحدة.

وفي الوقت الذي تطورت فيه الرواقية، فترت هممة الكلبيين، وبعد ذلك أحييت مبادئهم، ولكن في صورة ضعيفة، وبدلاً من أن ينادى الكلبيون برفض صور وتقاليد الحياة، كانوا ينادون بالأحرى إلى ما فيه مواءمة سهلة، وكانوا ينادون بأخوة البشر، ولذا كانت الكتابات المتأخرة للكلبيين تميل إلى أن تكون أقل فلسفة وأقل جدلاً، وإلى أن تكون أكثر وأكثر مزجاً للنصح بالسخرية.^(١)

ويبدو للباحث هنا أن ريكس ورنر يتحدث عن مرحلة ثانية من الكلية اليونانية امتدت من القرن الثالث قبل الميلاد على يد منيبوس وتشهيرات تيلس حتى أواخر القرن الأول قبل الميلاد، واتسمت بكونها حركة ساخرة أكثر من كونها فلسفة، أو جدلاً. فهو لم يتحدث عن الكلية الرومانية التي بدأت كإحياء للكلية اليونانية منذ القرن الأول الميلادي وحتى القرن الخامس الميلادي.

ويمكننا حصر أهم مبادئ الكلية المبكرة فيما يلي:

- ١- شك الكلبيون في الأفكار النظرية الموجودة من أجل اكتشاف الحقيقة، واعتبروا أن القانون الأخلاقي له الأسبقية على القانون المدني، وذلك لأنه فطري أولي لم يوجده أحد فبالتالي له الأحقية في الاتباع.
- ٢- رفضوا أي قانون أو عرف ما لم يتفق مع الفضيلة أو يسعى إليها قائلين أن أي شيء فاضل بما يكفي ليقوم به الفرد سراً أو علناً.
- ٣- نقد الموروث من العادات والتقاليد والقيم وعدم التحرر من الأخذ بالأفضل والأحسن والأكثر كمالاً.

(١) ريكس ورنر: فلاسفة الإغريق. ترجمة عبد الحميد سليم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٨٥.

٤- نقض الغيبيات الأسطورية النظرية، والتركيز على الأخلاق والتطبيق العملي لأفكارهم، لقد استحدثوا حياة الزهد كأقصر طريق إلى الفضيلة، لكنهم فطنوا إلى أن طريقتهم كانت صعبة لمعظم الناس ليتبعوهم فأثروا الحكيم منهم فقط.

٥- كان الكليون رمزين مع اعتقادهم أن الواقع هو الذي يمكن أن تتدركه الحواس، في حين أن المعاني والمفاهيم لا يمكن رصدها بدون العقل.

٦- استبعد الكليون طبقاً لأنستينيس وديوجين الكليبي دراسة الأدب والهندسة والموسيقا وكذلك دراسة الطبيعة، واهتموا بالفضيلة وحدها.

٧- اتسم الكليون القدامى بالمهارة اللغوية، والقدرة على الحجج المنطقية في مناقشة ونقد خصومهم، والجرأة في الدفاع عن أنفسهم ومذهبهم لدرجة التهكم الذي وصل لحد السخرية الناقدة.^(١)

ويعد أعظم إرث أخلاقي هو ما تركته الكلبية وأثرت من خلاله على الرواقية، حيث رسخ الكليون بشدة مسئولية كل فرد ليعيش حياة أخلاقية وأهمية الانضباط الذاتي واللامبالاة في المتعة أو الأثر في السعي لتحقيق الفضيلة، وأيضاً مبدأ العيش وفقاً للطبيعة والمواطنة العالمية. ونجد لزاماً علينا إيضاح الفرق بين العيش وفقاً للطبيعة بين الكليبين والرواقين.

لقد اختلف التصور الرواقي للعيش وفقاً للطبيعة عن التصور الكليبي القديم في الآتي:

١- الطبيعة عند الكليبين تعنى بالأحرى البدائي الفطري، فكذلك العيش وفقاً للطبيعة يتضمن السخرية المتعمدة من العادات والتقاليد، وأعراف المجتمعات المتحضرة، وهي سخرية تجسدت في ألوان من السلوك الساخر.

٢- العيش وفقاً للطبيعة وفقاً للرواقين تعنى العيش وفقاً للمبدأ الفعال النشط في الطبيعة (وحدة الوجود) وهو المبدأ الذي يشارك فيه عن طريق النفس البشرية، ومن ثم فالغاية الأخلاقية- عند الرواقية - تعتمد أساساً على الخضوع للنظام الكوني في العالم.

٣- تطور مصطلح العيش وفقاً للطبيعة عند الرواقين من غريزة المحافظة على البقاء أي

(1) Dudley, Donald B., A History of Cynicism; From Diogenes to the 6th Century A.D., London Methuen & Co., 1937.p.36.

الكمال الذاتي والتطور الذاتي؛ إلى أن تميز الإنسان عن الحيوان بالعقل، فأصبح مبدأ العيش وفقاً للطبيعة بالنسبة للإنسان تعنى العيش وفقاً للعقل؛ أقصد العقل البشري والعقل الكلي «زيوس» المبتوث في كل الأشياء حاكم الكون ومرشده.^(١)

ومع ذلك فقد كانت هناك في الواقع علاقة مشتركة وثيقة تربط بين المدرستين الفلسفتين (الكلية والرواقية)، ومن هنا قالوا إن الكلية هي الطريق المختصر نحو الفضيلة، وكان هذا هو المسلك ذاته الذي سلكه زينون الرواقي الذي تتلمذ على يد كراتيس الكلي.^(٢)

ثانياً: الكلية الهلينية

شاعت النزعة الكلية بالإسكندرية في الشطر الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وبدأت في صورة تحقير للممتلكات المادية، واعتقادها بأن السعادة تقوم في بساطة العيش التي تتمثل في خشونة الطعام واللبس والاستخفاف بالشعور بالحزن عند الكوارث، وكان الكلي يرحب بالصدقات ويتلقاها من الأغنياء دون أن يحمد لهم صنيعهم! يقول تيلس إنه يأخذ الصدقة أخذ الشجاع الذي لا يذل ولا ينتزل بنفسه ولا يستدر بشكواه عطفاً!

وهكذا أصبحت النزعة الكلية الهلينية - بتأثير من البوذية - نزعة شعبية تبيح التسول والتمتع بطيبات الرزق مع الشعور بعدم الاهتمام بها، كما أنهم انصرفوا عن حياة الزهد إلى طلب اللذة، والإمعان في مباشرتها علانية أمام الناس في غير استحياء.^(٣)

ويقول فردريك كوبلستون: «مال المذهب الكلي في المرحلة الهلينية إلى أن يفقد طابعه الجاد في التشديد على الاستقلال وقهر الرغبات، والتحمل البدني، والاستسلام للسخرية من العرف والتقاليد، وأذاع بيون البورينسي في كتابه خطابات لاذعة ما سمي بالكلية اللذية، مركزاً على السعادة، وتابع تيلس الذي علم في ميغارا عام ٢٤٠ ق.م بيون في كتابه أمثال الخطابات اللاذعة، مجموعة من النوادر التي تعالج الظاهر والحقيقة والغنى والفقر والأبائيا

(١) فردريك كوبلستون. تاريخ الفلسفة م. اليونان وروما. ترجمة د/ إمام عبد الفتاح إمام. المجلس الأعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة. عدد ٤٣٦. القاهرة ٢٠٠٢. صص ٥٢٨-٥٢٩.

(٢) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. فقرة ٦٩. ص ١١١.

(٣) د/ توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. ١٩٨٥. ص ٦٤-

الكلية، وابتكر مينبوس الجاداري حوالي ٢٥٠ ق.م الهجاء الذي جمع فيه بين الشعر والنثر- وانتقد تحت أشكال مختلفة «الرحلات إلى الجيم» والرسائل إلى الآلهة- والفلسفة الطبيعية- والتعليم الخاص.^(١)

ونعرض فيما يلي لأهم رجال الكلية الهلنستية لمعرفة طبيعة الكلية عندهم والفرق بينهم وبين مؤسسى الكلية الهلنسية:

١- بيون البورينسى Bion of Borysthenes:

ولد بيون حوالي ٣٢٥ ق.م في بوريثين (أولبيا) وكان شخصية خادعة منح أعداء الفلسفة الفرصة لهدم الفلسفة؛ وكان في الكثير من الأحيان قادر على الانغماس في الغطرسة، ولم يكتسب ثروة، وقال إن البؤساء قد اعتنوا بالمتلكات وكأنها ملك لهم، لكنهم لم يستفيدوا منها أكثر مما لو كانوا ينتمون للآخرين.

أساء بيون إلى سقراط وأعلن أنه إذا شعر بالرغبة الجنسية في الفتى القبياس، وامتنع عن التصويت في الأكليزيا ضده، فهو أحمق يعشق الصبية ويتدلّل لهم، إن سلوكه لم يكن رائعاً بأي حال من الأحوال، ولم يكن فيلسوفاً على الإطلاق. وعندما سُئل بيون ذات مرة عن أكثر من يعاني من القلق: أجاب «الطموح وما لا يملكه الإنسان» قال إن الحكمة تتفوق على الفضائل الأخرى بقدر ما يتفوق البصر على الحواس الأخرى.

اعتاد بيون في البداية إبطال أفكار أفلاطون ومهاجمته وخاصة ما أطلق عليه خرافة المثل الأفلاطونية، على الرغم من أن ديوجين لائرتيوس قد عدّه من ضمن الأكاديميين.

اهتم بيون بالهندسة والموسيقى، وعاش متنقلاً من مدينة إلى أخرى، وفي رودس أقنع البحارة بارتداء زي طلابه الكلبيين، وحضر بهم في صالة الألعاب الأولمبية، حيث كان من عاداته تبنى بعض الشباب لإشباع رغبته في أنه كلبى بارع ومشهور، وأيضاً من أجل حمايته من المهاجمين له، حيث كان شديد الأنانية. هاجم الإيمان بالآلهة من أجل الشهرة، وعند وفاته عام ٢٥٠ ق.م أقنعوه بالتوبة ضد جرائمه ضد الآلهة فرفض.^(٢)

(١) فردريك كوبلستون. تاريخ الفلسفة م. اليونان وروما. ص ٥٤٨.

(2) Diogenes Laertius..Lives of Eminent philosophers. Vol. 4 Translated by. R.D. Hicks, the loeb classical library, william Heinemann, Harvard university press New York, 1979.p46-58.

٢- مينيبوس عبداً من فينيقيا Menippus؛

كان مينيبوس عبداً وينحدر من أصول فينيقية اتبع المذهب الكلبي وازدهر حوالي ٢٧٥ ق.م لكي يتخلص من بخل سيده.

ولم يكن مينيبوس شخصاً جاداً رزيناً بحال من الأحوال، إذ كانت كتبه تزخر بكل ما هو ساخر وتحفل بكثير مما هو مضحك، وكان يعطى قروضاً للناس طوال النهار، وأنه بسبب ذلك قد حظي بلقب «مقرض المال بالنهار» على سبيل الكنية، وذلك نظراً لأنه كان يتقاضى فائدة على هذه القروض المقدمة لملاك السفن، إذ كان يأخذ منهم ضمانات ورهونات ليضمن رد القروض، وجمع من وراء ذلك أموالاً لا حد لها وثروة طائلة.

لكنه في خاتمة المطاف - وقع فريسة لمؤامرة محكمة الأطراف، جرد على أثرها من كل ممتلكاته، فأقدم على شق نفسه ورحل عن الحياة يأساً وكمداً.^(١)

٣- مينيديموس من لامبساكوس Menedemos؛

كان مينيديموس تلميذاً من تلاميذ كولوتيس من لامبساكوس ازدهر حوالي ٢٥٠ ق.م. اهتم بالمعجزات والحوار إلى أن وصل به الأمر إلى أنه تخفى في زي الإيرينيات «ربات العذاب الثلاث عند اليونان أليكتو- وميجارا- وتيسيفون» وراح يمضي في تجواله، وهو يزعم أنه قد وفد من هاديس «العالم الآخر عند اليونان» ليغدو جاسوساً على الخطاة والآثمين، وأنه سوف يترد عائداً أدراجه مرة أخرى ليقدم تقريراً إلى أرواح العالم السفلي عما رآه وعينه.^(٢)

٤- تيليس من ميجارا Teles of Megara؛

ازدهر تيليس المولود في ميجارا حوالي ٢٣٥ ق.م ونسب ستوباوس إلى تيليس المؤلفات الآتية: في المنفى، الاكتفاء الذاتي، في الظروف، على التحرر من العاطفة، المتعة ليست الهدف من الحياة.

(١) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. فقرة ٩٩. صص ١٠٣-١٠٤.

R. Bracht Branham and Marie-Odile Goulet-Cazé. The Cynics. The Cynic Movement in Antiquity and Its Legacy. UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS. Oxford.1997.p.165

(٢) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني. فقرة ١٠٢. صص ١٠٩-١١٠.

لقد تابع تيليس بيون البورينسي في كتابة الخطابات اللاذعة التي تعالج الظاهر والحقيقة والغنى والفقير، والأبائيا الكليية.^(١)

ويقول تيليس في إيهام نفسه والكلييين بأن الصدقات التي يتقبلونها ليست ذات قيمة مخاطباً رجلاً غنياً: « إنك تسخو لي بالعطاء، وأنا آخذ منك أخذ الشجاع، فلا أجتو لك ولا أهبط بنفسى إلى منزلة حقيرة ولا أشكو. »

وهنا نرى أن المذهب الكليبي في العصر الهلينيستي وبصورته الشعبية لا يدعو الناس إلى الامتناع عن التمتع بطيبات هذه الحياة الدنيا، بل يكفي منهم أن يقفوا إزاءها موقف من لا يابيه لها.^(٢)

ربط الكلييون بين المظهر وحقيقة الإنسان، حيث كان المظهر الرث والعصى وإطلاق اللحية هي العلامات التي يستدل بها الكليبي على أتباعه، الذين رفضوا ملذات الدنيا، بحثاً عن الفضيلة. ويتضح من العرض السابق أن الكليية الهلينيستية قد أدخلت عليها العديد من المؤثرات الشرقية التي انحرفت بها إلى حد كبير عن المسحة السقراطية الخالصة

ثالثاً: الكليية الرومانية

إن الكليية كطريقة فلسفية للحياة لا تسعى إلا إلى الانضباط الفلسفي الذي يسعى إلى إصلاح الفلسفة، وبالطبع إصلاح الحياة العقلية؛ إنها طريقة للحياة تهدف إلى إعادة تقديم الفلسفة في حياة الناس، وتعد هذه الطريقة الموجهة نحو التعليم والإصلاح العقلي والمجتمعي والتي تظهر مزيداً من القيمة العامة للمدرسة الكليية الكلاسيكية.

إن الكليية الرومانية يمكن أن تعيد التفكير في سطحية وعشية الحياة العادية للمجتمع الروماني، فالكليبي الهليني لم يرقم إلا بنسخ فضائل منهجية سطحية تعتمد على جرح وإهانة الطغاة، لكنه فشل في وضع مجموعة متماسكة من القيم والتأملات الجادة، ولكن الكليية الجديدة ستكون مجهوداً مثالياً لإعادة الحياة في الفلسفة، والفلسفة في الحياة.

(١) فردريك كوبلستون. تاريخ الفلسفة م. اليونان وروما. ص ٥٤٨.

(٢) برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية. ك. ١٠. الفلسفة القديمة. ترجمة د/ زكي نجيب محمود. مراجعة د/ أحمد

أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ٢٠١٠. ص ٣٦٤.

وعلى الرغم من أن الكلبيّة كنظرية يمكن اعتبارها ذات صلة متبادلة سواء في العصر اليوناني أو في العصر الروماني، وتظهر أهميتها بشكل أوضح عندما تتعامل في المجال الأخلاقي، وأيضاً ضرورة إعادة النظر في الكلبيّة اليونانية، وهو بالكاد ما أظهرته الكلبيّة الرومانيّة من حيث التركيز على ثالث من القيم والممارسة فضلاً عن التفكير النظري والنزعة الإنسانيّة، وحث ذلك في المجتمع الروماني وفيما يتعلق بالتقاليد والمدارس الفلسفية الأخرى، ولكن كتيار فكري مستقل.^(١)

ومن الجدير بالذكر أن الفلسفة الكلبيّة وجدت الكثير من الدعم بين الطبقات العليا من المجتمع الروماني. هناك قصص من أعضاء مجلس الشيوخ الأثرياء الذين يركزون على السياسة، كانوا يرتدون في نهاية كل أسبوع ثياباً رثة لكي يظهر واللعامة روح التواضع والمؤازرة والبعد عن الترف، وربما كان هناك سبب سياسي وراء اهتمام هؤلاء الأرسطراطيين بالكلبيّة. استخدمها البعض لإظهار أن الإمبراطورية الرومانيّة لم تكن دولة فاضلة وأن الجمهوريّة كانت طريقة أفضل للحكم. لكنهم سيقولون ذلك لأنه في الحقبة الجمهوريّة (التي سبقت العصر الإمبراطوري)، كانت كل القوى تكمن في الشيوخ بدلاً من الإمبراطور. أراد أعضاء مجلس الشيوخ استجماع قوتهم القديمة، مع استمرارهم في محاولة إعادة تشكيل الجمهوريّة طوال تاريخ روما.^(٢)

أما عن مصادر معرفتنا بالكلبيّة الرومانيّة فتنحصر في أربعة مصادر:

أولاً: الرواقية المتأخرة:

كان الرواقيون المتأخرون يكونون للفيلسوف الكلبي احتراماً رفيعاً خاصة سينكا في رسائله الأخلاقيّة وإعجابه بمؤسس الكلبيّة الرومانيّة ديمتريوس الكورنثي، ثم أبيكتيتوس الذي أعجبه أيضاً الزهد وطريقة عيش الكلبي وتصديه لفساد السلطة وسلوكها في الإمبراطورية الرومانيّة، حيث يقول: « كيف يمكن لإنسان لا يملك شيئاً، عار، بلا مأوى، أو مدفأة، غاية في القذارة، لا عبيد عنده ولا مدينة له، أن يعيش في هدوء؟ لاحظ أن الإله قد بعث إليك بالشخص الذي سيريك عملياً أن هذا أمر يسير. فهو يقول لك « تطلع إليّ » فأنا بلا مأوى،

(1) Dennis Schutijser. Cynicism as a way of life: From the Classical Cynic to a New Cynicism. p.46.

(2) Dudley, Donald B., A History of Cynicism; From Diogenes to the 6th Century A.D. p.66.

ولا مدينة لي، ولا أملك شيئاً ولا عبيد عندي، وأفترش الأرض، وليست لي زوجة، ولا أولاد، وليس لي قصر، بل حسبي أرضاً وسماً وعباءة خشنة. ومع ذلك. ما الذي ينقصني؟ أأر أخلص من الأكر والخوف، أأست حراً؟ من منكم رآني عاجزاً عن الحصول على ما أريده أو متردياً فيما أحاول أن أتجنبه؟ متى أخطأت في حق الإله أو لإنسان قط؟ متى وجهت لومي لأحد قط؟ هل شاهدني أحد منكم بوجه عبوس؟ وكيف أواجه من تقفون أمامهم في خوف وفزع؟ أأر أواجههم كما لو كانوا عبيداً؟ من من الناس إذا ما وقعت عيناه علي لا يشعر أنه يشاهد ملكه وسيده؟ هو هذا، هذه هي العبارات التي تلائم الكلبي، هذه هي خاصيته، وهذه هي خطته في الحياة.»^(١)

ثم نجد بلوتارخ الخايروني الذي يعد مؤرخاً وفيلسوفاً مزيج بين الرواقية والفيثاغورية الجديدة والذي أرخ في كتابين له وهما سير عظماء الإغريق والرومان *Lives*، وكتابه عن الأخلاق *Moralia* لأهمية الكلية كطريقة وسلوك أخلاقي مؤثر في الحياة حيث يقول: «نشأ الكلبي في المدارس الفلسفية في اليونان القديمة التي اتبعت نهج سقراط في الحياة، وعلى الرغم من أن اعتبار الكلية «مدرسة فلسفية»، فإنها تثير صعوبة في مجموعة غير تقليدية للمدارس الفلسفية ومعادية للنظرية، حيث اهتماماتهم الأساسية أخلاقية، لكنهم يتصورون أن الأخلاق طريقة للعيش أكثر من كونها نظرية تحتاج إلى تفسير. وعلى هذا النحو، فإن الكلية، مدرسة فلسفية يونانية قديمة، سادت المجتمع الروماني، وتعني نوعاً من التدريب على الذات أو الممارسة - ويُعد هذا شعار لها، وكذلك الرواقيون الذين اتبعوهم في طريقة الحياة الساخرة بأنها «اختصار للفضيلة» على الرغم من أنهم يقترحون في كثير من الأحيان أنهم اكتشفوا الطريق الأسرع، وربما الأكيد، إلى الحياة الفاضلة، إلا أنهم يدركون صعوبة هذا المسار.»^(٢)

(1) EPICETUS. The Discourses as Reported by Arrian, 2 vols., trans. W. Oldfather, London, Heineman, 1926.ch.22.p.148.

ريكس وورنر. فلاسفة الإغريق. ترجمة عبد الحميد سليم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٨٥. ص ٢٤٤-٢٤٥.

(2) Plutarchs, *Moralia*, vol.2 with An, English translation by. E. c. Babbitt. The loeb classical library. Harvard. University press London.1933.ch.12.

See. Diogenes Laertius..*Lives of Eminent philosophers*. Vol. 6.ch.104.Vol.7.ch.122.

ثانياً: السوفسطائية الجديدة:

والتي عاصر أتباعها الكلبيين مع إعجابهم بهم وطريقتهم في العيش، فنجد على سبيل المثال فيلوستراتوس السوفسطائي: في القرن الثاني الميلادي الذي عرض في عملين من مؤلفاته لأهم الفلاسفة الكلبيين في المرحلة الرومانية وسير حياتهم وطريقتهم الكلية، العمل الأول هو عن «حياة السوفسطايين» Philostratus And Eunapius, The Lives Of The Sophists وعمله الثاني هو عن حياة أبولونيوس التياني الفيثاغوري المحدث، The life of Apollonius of tyana. ونجد ديوكريسوستوم (القرن الأول الميلادي) الذي عده بعض المؤرخين مبشراً كليياً، بدء حياته سوفسطائياً، وعند نفيه من الإمبراطور دوميتيان تحول وأصبح كليياً متجولاً، عرض في خطباته Discourses لأهم الكلبيين وعلاقته بهم، وكذلك فافورنيوس Favorinus في القرن الثاني الميلادي الذي أعجب بديمتريوس الكلبي.

ثالثاً: الفيثاغورية الجديدة:

حيث أصل ووثق أبولونيوس التياني (القرن الأول الميلادي) من خلال علاقته بديمتريوس الكورنثي الكثير عن حياته وإعجابه بفلسفته وقدرته المنطقية الفائقة.

رابعاً: من خلال المؤرخ الروماني ديو كاسيو:

الذي أصبح عضواً في مجلس الشيوخ في عصر كومودوس، واكتسب رضا الإمبراطور سبتموس سيفيروس وأمره بتسجيل وتوثيق حروبه التي انتصر فيها وكانت نواة كتابه عن تاريخ الرومان Roman History الذي يقع في ثمانين جزءاً.

ونعرض فيما يلي لأهم أتباع الكلية الجديدة أو الكلية الرومانية لمعرفة طبيعتها ودورها البارز في المجتمع والثقافة الرومانية:

١- ديمتريوس الكلبي:

ولد ديمتريوس في كورنثا حوالي ١٠/٧ ميلادية وتوفي عام ٩٠ ميلادية، يعد أشهر فلاسفة الكلية، بل أول من أحياها في العصر الإمبراطوري الروماني، عاش متمسكاً بأفكار وتعاليم المدرسة الكلية اليونانية، لا علاقة له بالثروة أو السلطة مثل ديوجين السينوبي، ذهب إلى روما في شبابه في زمن الإمبراطور كاليجولا. وكان صديقاً لسينكا، وحظي باحترام المثقفين الرومان.

تمثل حياة ديمتريوس انعكاساً لحالة الإستبداد والظلم الذي تعرض له المفكرين والفلاسفة والمتقنين في عهد الإمبراطورية الرومانية، عندما يجروون على التعبير عن آرائهم بحرية منتقدين تصرفات وسلوكيات الأباطرة، وخاصة في عهد الإمبراطور دومتيان.^(١)

أظهر ديمتريوس احتقاره للثروات الدنيوية برده على الإمبراطور كاليجولا الذي عرض عليه مائتي ألف هستيريا، لكي لا يندد بأخطائه وتصرفاته السيئة تجاه شعبه قائلاً: «إذا أراد أن يختبرني، فعليه أن يحاول ذلك من خلال عرض مملكته بأكملها».

ويقول سينكا في الواجبات: «إن الإمبراطور كاليجولا الذي كان يحكم فيما بين (٣٧م: ٤١م) أراد أن يعطي ديمتريوس مبلغاً من المال ورفض قائلاً: «أيها الآلهة والإلهات ما هو العقل الذي منحتموه لهذا الإمبراطور، إنه يفسد عقله ولا يكرمه، ولا يستطيع عقله هذا أن يهديه إلى الصواب.» ويقول سينكا كان هذا دليلاً على شهامة ديمتريوس ورفضه للثراء على حساب مبادئه إيماناً منه بتعاليم ومبادئ الكليية، وأيضاً عدم التفريط في عقله أو إهانته وإهانة نفسه بقبوله رشوة الإمبراطور كاليجولا.»^(٢)

ويعد موقف ديمتريوس هذا تشبهاً بما فعله أستاذه ديوجين السينوبي عندما أرسل الإسكندر الأكبر رسالة إلى أنتيباتروس الذي كان في مدينة أثينا، عن طريق شخص يدعى أثليوس، وكان ديوجين حاضراً، فقال ابن بئس منحدر من نسل أب بئس، يرسل رسالة إلى مخلوق بئس يحملها تابع بئس! وعندما هدده الملك برديكاس بالقتل إذا لم يأت إلى بلاطه قال ديوجين: «ليس هذا بالأمر الجلل، لأن كلا من الخنفساء والعنكبوت السام بوسعهما اقتراف مثل هذه الفعله! ثم أردف قائلاً: إنني كنت أتوقع أن يكون تهديد برديكاس لي بالأحرى على النحو التالي: إن بوسع برديكاس أن يحيا في سعادة، لو أنه عاش محروماً من صحبتي.»

وعندما شاهد ديوجين السينوبي ذات مرة حراس المعبد يقتادون شخصاً سرق قارورة من ممتلكات المعبد، قال: اللصوص الكبار يقتادون اللص الصغير.

وعندما سُئل ديوجين السينوبي عن الطريقة التي يعامل بها الطاغية ديونيسيوس أصدقاءه،

(1) Dio Chrysostom, Discourses II, with an English Translation by J. W. Cohoon, Loeb Classical Library.. Harvard University Press. 1932.p.9.

(2) SENECA, De Finibus. The loeb classical library.Harvard. University press London.1962.II-11-1.

قال: مثل أكياس النقود، يعلقها في حزامه حينما تكون زاخرة بالنقود، ويلقى بها بعيداً حينما تكون فارغة.^(١)

ويقول سينكا للوسيليوس: «عزيزي لوسيليوس، سألك وأتوسل إليك، من جانبك، أن تدع الحكمة تغرق في روحك، وأن تختبر تقدمك، ليس فقط عن طريق الكلام أو الكتابات، ولكن بنضجك العقلي والتحكم في رغباتك، بل واثبات كلامك عن طريق أفعالك، أستمع إلى كلمات صديقنا ديميتريوس الكلبي، بعد أن رأيتك يتكلم دون أن يرتدي عباءة تُغطيه، وأكثر من هذا، إنه ليس فقط معلم الحقيقة، لكنه شاهد للحقيقة. «هل يجوز للرجل أن يحتقر الثروة عندما تتاح له؟ بالطبع لا؛ إنه أيضاً ذو مذاق رائع، يرى ثروات تراكم حوله، ولا يرغب فيها ولا تُثير رغبته، وهذا يعني الكثير مثل تفضيله للفقر الذي لا يراه فقراً وسط هذا الكم الهائل من الثروات.

ويجب لوسيليوس «نعم، لكنني لا أعرف»، كما تقول، «كيف سيتحمل ديمتريوس شدة الفقر، إذا وقع فيه فجأة؟»

ويرد سينكا: من الضروري أن أفعل ما قلت لك في رسالة مفادها أن الرجال العظماء فعلوا هذا غالباً. وعليك أن تُعد نفسك للفقر الحقيقي عن طريق الفقر المتخيل. وسبب هذا لأننا غارقون في الرفاهية ونعتبر جميع الواجبات صعبة ومرهقة. عليك أن تدع روحك تنطلق من نومها وتحثها على العيش وفق للطبيعة التي أوضحت لنا أنه لا رجل يولد غنياً.^(٢)

وأيضاً يقول سينكا: «يُعد ديمتريوس أفضل ما عرفت من الفلاسفة الحقيقيين، وأنا في كل رسائلي أخذه مثلاً على رفضه للثروة وقوة تحمله للفقر احتراماً لذاته ولا كتفائه الذاتي، مخلصاً وساعياً لحب الحقيقة، إن صديقنا ديمتريوس لا يعيش فقط كما لو أنه تعلم أن يحتقر كل الأشياء، ولكن كما لو أنه سلمها ليحملها الآخرون.»^(٣)

ويقول سينكا أيضاً: «عزيزي لوسيليوس، لقد تعلمت من صديقي ديمتريوس أن الحياة الحقّة لا تخلو من العذاب أو التعذيب، ومع أنني لا أفضل الحرب؛ ولكن إذا حان الوقت الذي

(١) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني.. ف٤٤-٤٥-٥٠-٥١ ص ٤٥-٤٩.

(2) SENECA, Epistulae Morales, trans. R. Gummere, Vol II, Cambridge MA, Harvard University Press, 1962. XIX - 19-XX-20.

(3) SENECA, Epistulae Morales, LXIII, 63.

يجب أن أتحمّل العذاب فيه، فإنني أرغب في أن أتعامل معه بشجاعة وشرف..، فإنني أرغب في أن أتعامل مع الجروح والجوع وكل ما تجلبه الحرب. كما أنني لست مجنوناً لدرجة أنني أتطلع إلى المرض. ولكن إذا كان لا بد لي من أن أعاني من مرض، فأنا أرغب في ألا أفعل شيئاً يُظهر نقصاً في ضبط النفس، إن المصاعب ليست مرغوبة في ذاتها، ولكن الفضيلة مرغوبة في ذاتها، والتي تمكننا بصبر من تحمل المصاعب.

إن التحمل الشجاع حتى تحت التعذيب أمر مرغوب فيه.

إذا كانت الشجاعة مرغوبة، فكذلك تحمّل التعذيب؛ لأنه جزء من الشجاعة.

إن تحمّل التعذيب، التحمل الشجاع؛ يُعد فضيلة في ذاته.

إذا لم يكن لديك أي شيء يحركك ويحثك على العمل، فلا شيء سيختبر قوتك ضد أعدائك.

إذا كنت متكئاً في راحة لا تززع، فهذا ليس هدوءاً.⁽¹⁾

ويقول سينكا طبقاً لصديقه ديمتريوس عن الدور الذي تلعبه الفلسفة في تقدم الإنسان: «إن صديقنا ديمتريوس يؤكد إن علينا أن ندفع عقولنا دفاعاً لمواجهة المشكلات، وأن ندعم عقولنا ضد الشرور التي قد تحدث بسبب النفي، أو التعذيب، والمرض، والحروب، يجب أن تُدرك أن خوفك من موتك يُشبه خوفك من القيل والقال، ليس ذكي من يخاف من الكلمات، ويؤكد صديقنا ديمتريوس مراراً على أن الرجل الجاهل يُشبه التماثيل التي تُوضع في المعبد، وأن الرجل المجنون هو الذي يخاف من الحكم المُشين الذي يلقى له، إن الموت مفيد للكثيرين، وأنه يحمر الكثير من التعذيب والعوز والأمراض والمعاناة والتعب!».⁽²⁾

ويقول سينكا في رسائله مادحا ديمتريوس: «إنني أعطي نفسي لأصدقائي، ولا أترك صدقاتهم بغض النظر عن بعد المكان والزمان الذين عاشوا فيهما، وقضوا حياتهم، ومنهم ديمتريوس من كورنثا الذي يعد أفضل الرجال الذين أرتدوا الكتان وسعوا لتعليم الناس وهدايتهم، لماذا لا احترم هذا الرجل؟ لقد عرفته وهو يحتقر كل شيء ولا يملك شيئاً، إن من حق أي إنسان أن يحتقر كل شيء، ولا يقدر أي إنسان أن يملك كل شيء، أقصد احتقار

(1) SENECA, Epistulae Morales. LXVII, 67.

(2) SENECA, Epistulae Morales, XC, 90.

الثراء. فها هو صديقنا ديمتر يوس، الذي ضحى بحياته من أجل الحق والحقيقة دون أن يسلم ذاته لأي جائر أو ذي سلطان»^(١).

أما أيكتيتوس (٥٠م-١٣٨م) فكان معاصراً لديمتر يوس فقد خصص فصلاً كاملاً عن الكلبيّة في خطابه يظهر فيه الفيلسوف الكلبي على أنه المُبشر بالحقيقة المتعلقة بالخير والشر، وعلى أنه سفير الإله، وكان معجباً بعدم الاكتراث الكلبي بالخيرات الخارجية، فهذا وضع طبيعي أكثر تعتمد فيه السعادة على ما هو في قدرتنا. وما هو مستقل عن الظروف الخارجية أعنى إرادتنا، وأفكارنا عن الأشياء واستخدامنا للأفكار، فلو أننا بحثنا عن السعادة في خيرات لا تعتمد تماماً على أنفسنا في بلوغها أو مواصلة امتلاكها، فإننا نعد أنفسنا للشقاء. ومن ثم فإن علينا ممارسة الزهد والبحث عن السعادة بداخلنا.

ويبدو لنا أن ديمتر يوس الكلبي الذي كان يكبرُ أيكتيتوس في العمر وكان المؤثر الحقيقي في إعجاب أيكتيتوس بالفلسفة الكلبيّة، وتبنيه بعض أفكارها.

فنجده يقول: «يستطيع الرجال الأحرار أن يهزموا الدكتاتور بين الأقوياء مثل ديمتر يوس الكلبي القائل في منفاه Gyarus- إن هذا هو المكان المفضل إلي، ذلك هو المكان الذي لا يمنعني فيه أحد من العيش، وذلك لأن الأرض ملك للجميع، وهذا هو ثوبى الأخير.. وجسد المسكين المبتلى لا لأحد سلطان عليه. وكان هذا هو السبب في أن ديمتر يوس قال لنيرون: «أنت تهددني بالموت، لكن الطبيعة تهددك.»^(٢)

وأكد أيكتيتوس في خطابه أن ديمتر يوس الكلبي هو القائل لنيرون: «إنني أفضل أن أموت اليوم أفضل من النفي إلى الغد.»

أما فافورينيوس Favorinus (٨٠م-١٦٠م) السوفسطائي المحدث فقد مدح ديمتر يوس قائلاً: «لقد تم نفي ديمتر يوس الكلبي في المرة الأولى من قبل تيجلينوس Tigellinus (رئيس الشرطة والذراع التنفيذي للإمبراطور نيرون في عام ٦٢) بسبب تعليقاته الساخرة من النظام الإمبراطوري، عندما افتتح نيرون صالة الألعاب الرياضية. حيث انتقد ديمتر يوس الحماقات الشهيرة وصالة الألعاب الرياضية التي افتتحها نيرون عام ٦١م ثم انهارت عام ٦٢م

(1) SENECA, Epistulae Morales, lxiii. p 427.

(2) Epictetus, the Discourses as Reported by Arrian, The Manual, and Fragments (2 Vols.), Cambridge London: Harvard University Press, 1949.ch1.21-25.

بسبب الأمطار الغزيرة وقتها، وندد ديمتريوس بفساد الإمبراطور ورجاله في ضياع أموال الشعب والدولة، ومع ذلك واصل ديمتريوس العيش في أثينا بشجاعة ولم يخف من بطش نيرون إلى أن تم نفيه في نفس العام». (١)

وحدثنا فيلوستراتوس في كتابه حياة أبولونيوس عن العلاقة الوطيدة التي ربطت بين كل من ديمتريوس الكلبي وأبولونيوس التياني حيث يقول: «انجذب ديمتريوس وأعجب بأبولونيوس، حيث حضر محاكمة أبولونيوس، غير أن ديمتريوس لم يفلت بالكاد من مخاطر الإمبراطور نيرون الذي يملك الحياة والموت (كما اشتهر بين رعيته) بإبعاده من روما.

ويعطينا فيلوستراتوس سبباً لماذا لم يحكم الإمبراطور نيرون على ديمتريوس بالإعدام حيث يقول: «هؤلاء هم الكليبيون الذين يتشوقون للموت، لأنهم لا يحصلون على الخير من هذه الحياة ولا يريدونه، ولا يريدون ملذات الحياة؛ وبالتالي لا ينتظرون الموت ليأتي من نفسه، مع رفضهم لحمة الانتحار، ولكنهم يحاولون منذ ديوجين الكلبي وحتى ديمتريوس الكلبي انتقادات الملوك والأباطرة بجثارة واستفزاز من هم يحملون السيف.».

وهناك قصة رواها فيلوستراتوس عن علاقة ديمتريوس بموسنيوس روفوس سيد أبيكتيتوس الفيلسوف الرواقي بعد مؤامرة بيسو ضد نيرون ٦٥-٦٦م حيث اضطر سينكا إلى الانتحار هو وزوجته بومييا بولينا وابن أخته لوكانوس، ولنفس السبب تم طرد ديمتريوس وموسنيوس روفوس من روما وخاصة الفلاسفة الرواقيين.

حيث قال ديمتريوس أنه نفي مع موسنيوس روفوس وكانا في برزخ واحد (كان نظام النفي عند الرومان يماثل الحبس في غرف تحت الأرض يقومون بحفرها) وأمروا بالحفر، وكانت أقوال موسنيوس روفوس كثيرة ومذهلة، وكان حديثه يحث على الحرية دون لامبالاة من ديمتريوس الكلبي الذي كان يتأمل في طبيعة الروح وفصل الروح عن الجسد.

قال ديمتريوس إنه وقع مع موسنيوس في البرزخ، حيث تم تقييده بالسلاسل؛ وقال إنه وجه إليه تعازيه قدر استطاعته، لكن موسنيوس أخذ يحفر في الأرض بقوة، ثم نظر إلى أعلى،

(1) Philostratus And Eunapius, The Lives Of The Sophists, With English translation. By. Wilmer Cave Wright. London. William Heinemann, press. (MCMxxii)1922. p128.

قائلاً لديمتر يوس: «أنت حزين لرؤيتي أحضر في برزخ؛ لكن إذا رأيتني ألعب القيثارة مثل نيرون، فما هو شعورك بعد ذلك؟»^(١).

وأشار فيلوستراتوس كيف أوصى أبولونيوس التيانى الإمبراطور تيتوس Titus (وهو تيتوس فلافيوس فيسباسيان الابن الأكبر للإمبراطور فيسباسيان والذي عهد إليه بحملة إلى القدس لمحاربة اليهود) أن يتبع تعاليم ديمتر يوس الكلبي.

فيقول الإمبراطور تيتوس لأبولونيوس: وبالنسبة لنفسى يا رجل تيانا، هل يمكن أن تعلمنى كيفية ممارسة سلطة الإمبراطور؟

يُجيب أبولونيوس: عليك أن تفعل ما كان يفعله أبوك، واعتقد أنك سوف تكون مثله..... وأريد أن أكرر لك بمناسبة سؤالك قول أرخيتاس Archytas وهو أحد النبلاء. حيث كان رجلاً من تارنتوم ويستحق أن نفتدى به، فهو لا ينسى من الذاكرة، لأنه أحب وتعمق ومارس تقاليد فيثاغورس، وكتب عن كيفية تعليم الأطفال حيث يقول: «دع الأب يكون مثلاً على الفضيلة لأبنائه، لأن الآباء سوف يسيرون على نحو أكثر حزمًا في طريق الفضيلة، لأن الأطفال يشبهون ضرب آبائهم.».....

وبالنسبة لك يا تيتوس سوف اقترح أن ينضم معك صديقى الخاص ديمتر يوس الكلبي، الذى يكون لك عوناً ومخلصاً ويوجهك لكي تصبح حاكماً جيداً.

ويسأل الإمبراطور تيتوس: وأي نوع من الحكمة يا أبولونيوس يمتلكها ديمتر يوس الكلبي الشجاعة أم ماذا؟!!

ويُجيب أبولونيوس: يمتلك قول الحقيقة التى لا ينازعها أحد، لأنه يمتلك ثبات وقوة شخصية الفيلسوف الكلبي.

تيتوس: لم أكن مسروراً بسماعى اسم الكلب، ولكنك تذكرنى بهوميروس الشاعر اليونانى الذى كان يرسل كلبين لمرافقة الشباب إلى السوق في إثيكا «أثينا» على الرغم من كونها حيوانات لا تمتلك عقلاً، إلا أنهما أوفياء لصاحبهما.

أبولونيوس: إن ديمتر يوس الكلبي يرافقك وينبش نيابة عنك في وجهة الآخرين الذين

(1) Ibid.Vii.35.

يُضلوك، وأيضاً ينبح في وجهك في حال ما ذهبت على نحو خاطئ، أو حالفت الظلم، إنه ينبح بحكمة لا يضاهيه أحد، إنه الكلب العقلاني، وإن شئت القول فهو الكلب الحكيم.

تيتوس: حسناً..... أعطني كلبك لمرافقتي، وسأتركه حتى يعضني؛ في حال أنني حالفت الظلم على نفسي وعلى الآخرين.

أبولونيوس: سأكتب له رسالة، لأنه يعلم الفلسفة في روما.

تيتوس: صلي من أجلي يا أبولونيوس. لكي يوافق ديمتريوس الكلب على مرافقتي في رحلتني إلى روما. (١)

وعرض فيلوستراتوس لنص رسالة أبولونيوس إلى ديمتريوس

أبولونيوس: صديقي ورفيقي ديمتريوس الكلبى..... بعد التحية.

لقد رشحتكم إلى مرافقة الإمبراطور تيتوس، بحيث يمكنك إرشاده لكيفية التصرف كإمبراطور، مع اهتمامك بتأكيد الحقيقة الكلية ومبادئها الحكيمة، وأيضاً فرصة لك لنشر الحق وفلسفتك للإمبراطور ورعيته دون ظلم أو انظلام، ودون غضب منك لما يفعله الإمبراطور قبل تعليمك إياه..... صديقك أبولونيوس. (٢)

وهذا يذكرنا بما قاله ديوجين السينوي عن سبب تسميته بالكلبي، رد قائلاً: «لأنني أنبح في وجوه الأوغاد وأشبعهم عقراً.» (٣)

ويقول المورخ الرومانى ديو كاسيوس عن علاقة ديمتريوس الكلبى بالإمبراطور تيتوس: «أنه في عام ٧٥م أراد تيتوس الذي كلف بالحرب ضد اليهود، تعهد بكسبهم من خلال بعض الوعود؛ ولكن بما أنهم لن يستسلموا، فقد شرع في شن حرب نفسية عليهم «بالزواج من الأميرة اليهودية برنيس، التي جاءت مع شقيقها أجرينيا، حيث حصلت برنيس على رتبة الباريتور وسكنت في القصر مع تيتوس، وتوقعت أن يتزوجها، ولكن ديمتريوس الكلبى نصحه بعدم الزواج نظراً لاستياء الرومانيين من هذا الزواج، لأنها وأخوها لم يجيئوا إلى روما إلا طمعاً في حكمها وثرواتها وظلم شعبها، إنها جاءت لهدفها وليس من أجلك، ورفض تيتوس نصيحة

(1) Philostratus, The life of Apollonius of tyana. viii.42.

(2) Ibid. viii.44.

(٣) ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني.. ف ٦٠ - ص ٥٧.

ديمتريوس الكلبي، مما دعا كلبي آخر يدعي ديوجينيس أن يتهمك في خطاب طويل على ما يريد أن يفعله تيتوس، وجاب مسارح المدينة مندداً بما يريده الإمبراطور؛ مما أدى بتيتوس إلى جلد ديوجينيس وقطع رأسه؛ ونفي ديمتريوس الكلبي وطرده من روما.^(١)

ووصف فيلوستراتوس موقف ديمتريوس الكلبي الذي عاصر الإمبراطور دومتيان مسبباً قلقاً محتملاً لكل من عاصروهم من أباطرة الرومان؛ حيث قلقهم من المنجمين والرياضيين والفلاسفة؛ الذين جعلهم أباطرة الرومان وحتى دومتيان فصيل واحد هدفها التشكيك في قرارات وتصرفات الإمبراطور، معتقداً أنهم بغضبه سوف يهربون من أجل النجاة بأنفسهم من الإعدام.^(٢)

ويروى لنا فيلوستراتوس أنه « بعد أن وصل أبولونيوس إلى كورنثا مؤدياً شعائره المعتاده، اتجه إلى صقلية وإيطاليا في اليوم الخامس من رحلته، وهناك التقى ديمتريوس لكونه أجرئ الفلاسفة الذين لم يعيشوا بعيداً عن روما خوفاً من الطاغية دومتيان، وقال أبولونيوس له: «لقد أمسكتك في هذا الجزء الأكثر روعة من إيطاليا السعيدة؛ إذا كانت في الواقع سعيدة!!!» واحتضن ديمتريوس ونظر إلى السماء قائلاً: «أيها الآلهة، ماذا سيحدث للفلسفة؛ إذا فقد هذا الرجل؟

ثم قاد ديمتريوس أبولونيوس وصديقه داميس إلى الفيلا التي كان يعيش فيها شيشرون الخطيب الروماني، وجلسوا جميعاً تحت شجرة حيث كان الجنادب يفرحون بصوت الموسيقى الهادئة لنسيم الصيف وقال ديمتريوس: «أيتها الحشرات المباركة والجريئة، يبدو أنكم تتغنون وتمرحون بعيداً عن كل هذا الحسد البشري الذي أفسد عليكم العيش في زحام مدينتهم، وفضلتم العيش هنا في سعادة متنازلين عن احتياجات بطونكم؛ وها نحن هنا لكي نشعر بالسعادة بعيداً عن الحسد والحقد البشري الذي قيد أذهاننا.....

ثم قال أبولونيوس: «يبدو يا ديمتريوس أنك لم تأت هنا لتمتدح الجنادب، بل جئت هنا هرباً، كما لو أن هناك قانوناً عاماً في روما ضد أي شخص يمدح الجنادب.

أجاب ديمتريوس: «نعم.. فعلت ما قلت، ولكن ليس عن طريق مدحهم، بل للإشارة

(1) DIO CASSIUS, Dio's Roman History, trans. E. Cary, Cambridge MA, Harvard University Press, 1968. lxxv.15.3-5. LXXVI. p.259.

(2) Philostratus, The life of Apollonius of tyana, v7-10-12.

إلى أنه في الوقت الذي تركوا فيه غير مقيدين في أعشاشهم، لا يسمح لنا كبشر بالتمتمة، لأن الحكمة أصبحت جريمة لا يناسبها سوى عقوبة الإعدام، في حين أن قائمة الإتهام التي قدمها كل من أنيتوس وميليتوس ضد سقراط بأنه يفسد عقول الشباب، ويدعوا إلى دين جديد يخالف به آلهة أثينا، فنحن متهمون بمثل هذه الإتهامات؛ ولذلك فالفلسفة والفلاسفة مضطهدون في كل عصر، لأنها هي الحقيقة التي لا يريدها البشر.^(١)

ثم صاح أبولونيوس قائلاً: وجدت الحل.... إننا إذا استطعنا مقابلة Telesinus (وهو فيلسوف رواقى يحمل رتبة قنصلاً في عهد نيرون) فسوف ينقذ الفلسفة والفلاسفة.

قال ديمتريوس: لكن كيف نقابله؟ والطغاة يشكون بشكل واضح في أي رجل من رجال الدولة إذا وجدوه يتواصل مع أمثالنا المتهمون بإفساد المدينة وشبابها ورجالها، علاوة على أنه وافق على المرسوم الأخير ضد الفلاسفة والذي قرر فيه الإمبراطور نفي الفلاسفة وطردهم، فضلاً أن يكون في المنفى كفيلسوف رواقى، على أن يظل في روما قنصلاً.

قال أبولونيوس: نحن نواجه مثل هذه الاتهامات نيابة عن الفلسفة، إنهم يكرهون الفلسفة، ولا يكرهون وجودنا.

قال ديمتريوس: عليك يا أبولونيوس ألا تتظاهر بالخوف عند محاکمتك بمثل هذه الإتهامات؛ عليك أن تدافع عن نفسك.

قال أبولونيوس: وهل ستهرب لأنك تعرضت لنفس هذه الاتهامات مثلي؟

قال ديمتريوس: لا يمكنني أن أهرب متخلياً عن فلسفتي التي أوّمن بها.... أقسم بأثينا إذا كان هناك قاض عادل ليحكم علي، لكن في الواقع لا توجد محكمة عادلة؛ وإذا قدمت دفاعاً فلن يستمع لي أحداً، وطالما اخترت أن تكون فيلسوفاً محباً للحكمة، فعليك أن تختار الموت بدم بارد.....

واعتقد أنه يجب على الفيلسوف أن يموت من أجل حكمته التي تدفعه لتحرير مدينته أو لحماية أبويه وأطفاله وغيرهم من الأقارب، أو أن يموت من أجل أصدقائه، الذين هم في أعين الحكيم أغلى من الأهل والأقارب، أو أن يموت حباً للحكمة أفضل من أن ينحني الفيلسوف لطاغية جائر.....

(1) Ibid. v7-12-14.

وإذا كان حديثنا عن القدر وما هو ضروري؛ فإذا كان قدرك قاس عليك فلا تقابله وأنت مقيد اليدين، لأنك تراه قدراً، عليك أن تكون شجاعاً في مواجهته حتى ولو غلبك....

وعليك أن تفكر في أصدقائك وسلامة أنفسهم، وفي الفلسفة التي تدمرها وتدمرهم بنفسك؛ إذا لم تكن شجاعاً في مواجهة قدرك بدفاعك عن نفسك بما علمته لك الفلسفة، حتى ولو لم يتم الاستماع إليك....

وإن لم تملك يا أبولونيوس الحكمة والشجاعة للدفاع عن الفلسفة وعدم تلطيخ وتشويه سمعتها بدم الكذب والنفاق والخداع والظلم؛ فعليك أن تهرب كما فعل بعض الفلاسفة إلى مصر، والبعض إلى فينيقيا وقبرص، وبعض ثالث إلى قورينا، ورابع إلى سردينيا، خوفاً من مواجهة أقدارهم.

صرخ داميس: قائلاً هذا هو الفيلسوف الحق.⁽¹⁾

يقول أبولونيوس: أعلم يا ديمتريوس كم أنت فيلسوف بارع في إيراد الحجج المنطقية حول الحكيم وصفاته.

رد ديمتريوس قائلاً: أنا أعتبر أن الرجل الحكيم لا يفعل شيئاً على انفراده أو بمفرده، أنا أو من بأنه حتى أفكاره الغامضة لا يمكن أن تكون خالية مما يبررها، لأن الحكيم لا يعيش من أجل نفسه، إنه يشبه الآلهة في نشر كل ما هو حق للجميع؛ رأيت ما كتب على معبد الإله أبولو، لقد أراد أن يظهره ويكشفه للآخرين لكي لا يضلوا في الحياة؛ فأنا أو من بأن الحكيم ينبغي أن يعرف نفسه جيداً، كما قالت بيثيا كاهنة معبد دلفي لسقراط، فيكون ضميره هو رفيقه الدائم، وإظهار أن الحق والحقيقة هما شعلته التي لا تنطفأ أبداً، ولسانه سلاحه لحب المعرفة، ومبارزة الطغاة المتكبرين؛ إنه لن ينحني أبداً....

فمثلاً يفعل الأشياء التي يخجل العامة عبيد الطغاة من فعلها في ما كله ومشربه ومأواه، يفعل ما يشاء في حياته الخاصة شريطة ألا يخون نفسه وحكمته، أما العامة فهم مستعدين دائماً لخيانة كل ما هو عزيز لديهم، حتى خيانة أنفسهم وأهلبيهم وأولادهم..... لكن الحكمة لا تسمح بذلك...

(1) Philostratus, The life of Apollonius of tyana. v7-12-14.

أظن بعد ذلك أنني قد أوضحت لك من هو الحكيم وصفاته، وأن تلك هي الحقيقة نفسها، تلك الحقيقة التي ستقنعك بأن ضميري سوف يرافقني أينما ذهبت، سواء لمن يعرفني، أو لمن لم يعرفني؛ أنني لن أخون نفسي حتى أخون أصدقائي، لكنني سأظل أصارع بجرأة ديوجين الكلبى الطغاة لإظهار الحقيقة جلية لكل من يريد، إلى أن تسود الفلسفة كل ما في حياتنا، وأقول لك كما قال هوميروس كلماته النبيلة: «أريس هو صديقي مثل صديقك...»^(١).

وفي عام ٧٥م في عهد الإمبراطور فيسباسيان طرد ديمتريوس للمرة الثانية مع الفلاسفة الآخرين من روما إلى جزر سيكلاديز (ويعتقد البعض أن الطرد كان في عام ٧١م وفقاً لديو كاسيوس المؤرخ الروماني) حيث سعي ديمتريوس إلى تطبيق مبادئ الكليية القديمة، بالإضافة إلى علاقته بفلاسفة الرواقية، ولم تروق الفلسفة ولا الفلاسفة لموسيانوس Mucianus (الذراع التنفيذي للإمبراطور فيسباسيان) وبدافع من الغضب من الاشتغال بالفلسفة، أفتع الإمبراطور فيسباسيان بطرد كل الفلاسفة من روما إلى جزيرة سيكلاديز.

وكان ديمتريوس يبعث من منفاه عدة رسائل ضد الإمبراطور فيسباسيان، حتى بعث له الإمبراطور فيسباسيان في منفاه برسالة يقول فيها «أنت تفعل كل شيء لإجبارى على قتلك، لكننى لم أقتل كلب ينبح.»^(٢)

وكان موسيانوس شخصية تميل إلى التباهي بالسلطة، ويعشق التمجيد والتعظيم، حتى يتفادوا شره، وكلمته المسموعة عند الإمبراطور فيسباسيان، حتى كان يشعر بالإستياء من الشخص الذى يفشل في الطريقة التى يُعبر بها عن كيفية تكريمه وتمجيده، فيعاقبه بالنفي، هذا بالإضافة إلى عدم قبوله الفلاسفة على الإطلاق، وذلك لأنهم يُعلمون التجريء والعصيان والتمرد، فقدم لفيسباسيان ٢٨٥ تصريحاً للفلاسفة ليؤكد له ضرورة طردهم من روما، وعلى سبيل المثال قوله أن الفلسفة مليئة بالتباهى الفارغ، تدعى الحكمة والشجاعة والبر وأصحابها ليسوا بذلك، هم يطلقون لحاهم ويتبجحون على سادة روما ويُفسدون العامة، يُعلموهم الفقر ولا يُغنوهم بما يفكرون.^(٣)

(1) Philostratus, The life of Apollonius of tyana. v7-15.

(2) DIO CASSIUS, Dio's Roman History. B. 65-66.

(3) Dio Chrysostom, Discourses II, with an English Translation by J. W. Cohoon, Loeb Classical Library.. Harvard University Press. 1932. P.53.

ويلاحظ تأثر ديمتر يوس الكلبي بمؤثرين عظيمين أولهما: الآثر اليوناني المتمثل في الرفض السقراطي المتمسك بالفضائل الفطرية، والاعتماد على الذات في تحصيلها، والثاني الآثر الشرقي المتمثل في الرفض البوذي الذي يعتبر الأخلاق ممارسة وليست فضائل نظرية أو تعاليم يجب حفظها.

٢- سيكوندوس الصامت Secundus the Silent:

ازدهر سيكوندوس والملقب بالصامت حوالي عام ١٣٠ ميلادية، لم يعرف الكثير عن موطنه ونشأته سوى ما ذكره فيلوستراتوس إنه تم إرساله بعيداً عن المنزل لتعليمه عندما كان صغيراً، وعندما بلغ، قرر اختبار افتراض داخله ينص على القول بأن كل امرأة عاهرة. ولذلك عاد إلى منزله وهو يرتدي زي الفيلسوف الكلبي ذي الشعر الطويل واللحية، فراود والدته على معاشرته معاشرة جنسية مقابل خمسين قطعة ذهبية، وبعد أن أمضى الليلة معها، لم يفعل شيئاً سوى النوم على فراشها وفي سريرها، ثم أخبرها أنه هو الذي كان نائماً بجوارها مقابل خمسين قطعة ذهبية، فشنتت والدته نفسها من شدة الخجل، وقررت حينها التزام الصمت مدى الحياة.^(١)

وعندما وصل الإمبراطور هادريان (حكم روما فيما بين ١١٧-١٣٨ م كان مهتماً بالفلسفة محباً لها وللفلاسفة) إلى أثينا، سمع عن سيكوندوس واستدعاه إلى الحضور؛ وعندما دخل سيكوندوس حاول الإمبراطور اختبار صمته هل هو حقيقة أم لا؟ قام هادريان واستقبل سيكوندوس ولكنه لم ينطق بشيء، ودون خوف من هادريان أشار صامتاً إلى الترحيب بهادريان.

ثم قال له هادريان، «تكلم أيها الفيلسوف، حتى نتمكن من التعرف عليك. لا يمكننا معرفة حكمتك عندما لا تقول شيئاً.

وعلى الرغم من هذا ظل سيكوندوس صامتاً.

فقال هادريان لسيكوندوس: قبل أن أتى إليك كان من المناسب لك إلتزام الصمت، حيث لم يكن أمامك من يستمع إليك جيداً، ولا من يستطيع أن يتحدث معك، جئت إليك وأطلبها منك تحدث حتى نطلع ونعرف حكمتك وفلسفتك.

(1) Philostratus And Eunapius, The Lives Of The Sophists. 1.26.

ومع ذلك ظل سيكوندوس صامتاً دون خجل أو خوف من الإمبراطور هادريان.

ثم قال هادريان لأحد أتباع سيكوندوس بعد أن نفذ صبره، اجعل فيلسوفك يتكلم عن حكمته، ففي مقدوري إقناع الأسود والفهود وغيرها من الحيوانات البرية أن تتكلم بصوت إنساني، ولكنني لا أجبر فيلسوفاً يتحدث دون إرادته.

ثم استدعى الإمبراطور هادريان الجلاد وقال له: «لا أريد أن يعيش أي شخص يرفض التحدث إلى الإمبراطور هادريان، خذه بعيداً وعاقبه حتى ينطق.

ثم دعا الإمبراطور هادريان الجلاد جانباً على انفراد وقال له: «عندما تأخذه بعيداً، تحدث معه وشجعه على الكلام، وإذا أقنعته بالكلام وتكلم معك فقطع رأسه، وإذا لم يجب عليك وظل صامتاً فأعده إلى هنا سالمًا دون جلد.

وذهب الجلاد ومعه سيكوندوس قائلاً له: لماذا تموت من خلال صمتك؟ تكلم لكي تعيش، امنح نفسك هدية الحياة بكلمة واحدة منك؛ إن كل الطيور والكائنات تتحدث بصوتها الطبيعي؛ لا يوجد شيء حي ليس له صوت إلا من مرض أو كان ذو عاهة؛ ولست أنت مثلهم، بدل حياتك بيدك ولا تجعل صمتك يقتلك؛ واستمر الجلاد في اغراء سيكوندوس حتى يوقعه في الفخ واغرائه بحب العيش والحياة؛ ولكن سيكوندوس لم يتأثر بما قاله الجلاد وظل صامتاً؛ ثم أشهر الجلاد سيفه في وجه سيكوندوس قائلاً له عليك أن تنقذ نفسك من الموت بكلامك وحديثك معي؛ ولكن سيكوندوس لم يتأثر أيضاً بكلام جلاده وظل صامتاً.⁽¹⁾

وعندئذ أخذ الجلاد سيكوندوس عائداً به إلى الإمبراطور هادريان قائلاً له: سيدي القيصر أعيد لك سيكوندوس كما كان عندما سلمته لي، صامتاً بعد أن رأى الموت.

تعجب الإمبراطور هادريان من قوة وصمود سيكوندوس أمام الموت، قائلاً لسيكوندوس لم أكن قادراً كإمبراطور لروما أن أكسر قانونك الخاص بك؛ ولهذا أستسمحك أن تتكلم بيدك؛ وتحدث معي كتابة بيدك:

كتب سيكوندوس الصامت قائلاً: من جهتي أيها الإمبراطور هادريان فلن أخاف منك أو أخاف من الموت؛ فأنت حاكم اليوم ولست حاكماً للغد؛ وليس لك قوة على ما لدي من كلام.

(1) Lucian, Fugitivi, Translated: by. H.W. Fowler & F.G.Fowler.The Works Of Lucian of Samosata, Complete With exceptions specified in the preface, in four volumes, ch. 16.

قرأ هادريان ما كتبه سيكوندوس وقال: «أنت بارع في الدفاع عن نفسك؛ لكنني أستسمحك أن تُجيبني على عدد من القضايا الفلسفية، لديّ عشرون سؤالاً أطرحها وهي:

السؤال الأول: ما الكون؟

رد سيكوندوس كاتباً: «الكون هو نظام السموات والأرض وكل الموجودات الواقعة بينهما، وأنت يا هادريان إنسان مثلنا جميعاً، ولكننا نختلف في من هو ذو شعر أشعث، ومن هو مزين بالجمال؛ كلنا نمتلك الملابس وقوة الطبيعة التي تحمينا، لكنك ملئ من داخلك بالمخاوف والقلق على عرشك ومجدك؛ ضعيف ولست قوياً تخاف من قوة الرياح الشتوية؛ ويزعجك البرد القارس وشدة حرارة الصيف؛ أنت مثل الأسفنج منتفخ لكنك ملئ بالثقوب نظراً لكونك موجوداً قصير العمر وملئ بالأمراض، كما أنك لا تستطيع فعل شيء إلا ما قُدر عليك، اليوم يمر بنا ولا نعرف ماذا سيكون الغد.

فعليك ألا تفخر يا هادريان بأنك وحدك قد طوقت العالم برحلاتك؛ لأن الشمس والقمر والنجوم هي التي تقوم بالرحلة من حولك؛ لا تفخر بنفسك أنك جميل وعظيم وغني وحاكم هذا العالم كله؛ ألا تعلم أن كونك رجلاً، فقد ولدت عبثاً على الحياة، لا حول ولا قوة لك، فأنت تقع في أيدي آلهة القدر والعناية؛ فأنت لا تعرف شيئاً؛ فأنت لست هيراكليس العملاق الخالي من الخوف، ولست جريئاً كالأسكندر المقدوني؛ ولست جميلاً كأخيل فينظر إليك، ولا تملك ذكاء ودقة أوديسيوس، ولا قائداً قوياً للجيش مثل أجمامنون، ولست غنياً غني ملك الليديون، تلك هي الفروق التي ميزت بها آلهة القدر هؤلاء الرجال.⁽¹⁾

وبعد هذه المقدمة دعني أجيبك على أسئلتك: الكون هو محيط بعيد المنال، يولد ذاتياً ويعتمد على التأمل، أبدي، أثير مغذى لنور الشمس، النهار، النجوم، الظلام، الليل، الأرض، الهواء والماء.

أما السؤال الثاني: ما المحيط؟

أجاب سيكوندوس: هو الشيء الذي يحتضن العالم؛ والحدود التي يتوج بها هذا العالم، وتحتضن الطبيعة بأكملها، والمرآة التي تعكس ضوء الشمس، حامل هذا العالم المأهول.

(1) Lucian, Fugitivi, ch. 17.

ثم ألقى هادريان عليه السؤال الثالث.

السؤال الثالث: ما الإله؟

أجاب سيكوندوس: هو مكون ذاتي، روح منتشرة في كل شيء، عين لا تغلق من النوم لأنه لا ينام، الضوء الذي يسود على الجميع، هو صورة للعديد من الأشكال يصعب فهمها ولا يمكن رؤيتها.

السؤال الرابع: ما الزمان؟

أجاب سيكوندوس: هو مرآة الطبيعة، دورة لمدة اثني عشر ساعة، ملعب للكدر والشقاء، وتذكير بالحياة، تواصل حيوي مع الناس، وذكريات للماضي.

السؤال الخامس: ما الشمس؟

أجاب سيكوندوس: هي عين السماء، خصم الليل، مؤشر الكون، لهيب غير ملوث، ضوء متواصل، شعلة تُنير بحرية مطلقة، هي مسافر في السماء وحلية اليوم وزينته.

السؤال السادس: ما القمر؟

أجاب سيكوندوس: هو وقت السماء، بديل عن الشمس، نور البحارة، وتشجيع للمسافرين، عزاء الليل، عدو الأشرار، راعي المهرجانات، دورة الأشهر.

السؤال السابع: ما الأرض؟

أجاب سيكوندوس: هي قاعدة السماء، وسط الكون، محيط لا حصر له، ساحة صراع الحياة، مشهد مسرحي بدون أساس، نظام أنشأه الإله، أصل كل الأشياء، حماية المحاصيل وأمها، وهي منطقة يشغلها العديد من السكان، ومستودعهم النهائي.⁽¹⁾

السؤال الثامن: ما الرجل؟

أجاب سيكوندوس: هو العقل الذي يلبس في الجسد، كائن حي تملؤه العظمة، جسد يحتوي على روح، مصدر للإدراك الحسي، شبح في مرآة الزمن، روح كادحة، شيء جيد لا يدوم، أحد نفقات الحياة، منفى من الحياة، هارب من النور، شيء ستسترده الأرض، جثة إلى الأبد.

(1) Lucian, Fugitivi, ch. 18.

السؤال التاسع: ما المرأة؟

أجاب سيكوندوس: هي رغبة الرجل، والقلق الذي يكدر صفاء أي شيء، وحش متوحش، عاصفة في المنزل، أداة لحطام الرجل، خسارة يومية، لبؤة لا يمكن الفكك منها، خدمة مقدمة من الآلهة لإنجاب الرجال، أفعى ترتدى ثياب، حية سامّة، موجود شرير، شر ضروري لا بد منه.

السؤال العاشر: ما الجمال؟

أجاب سيكوندوس: هونعمة من صنع الإله، قطعة قصيرة من الحظ الجيد، حيازة لا تبقى معنا، شر للرجل التقى، حادث الجسد، وزير الملذات، زهرة تذبل، منتج غير مبهم، رغبة الرجال.

السؤال الحادي عشر: ما الصديق؟

أجاب سيكوندوس: هو رجل نفتقده في كل زمان ومكان، عملة يصعب العثور عليها، سند في وقت الشدة، ملجأ في الضيق، عون في الشدائد، ناصح أمين، ثروة لا يمكن اقتنائها.

السؤال الثاني عشر: ما الفلاح؟

أجاب سيكوندوس: هو خادم للمحاصيل، رفيق العزلة، خصم للغابة، محسن للحقول، طبيب الأرض، وزارع الأشجار، ومجمل الأراضي الجبلية، شخص مفلح لا يكل ولا يمل.

السؤال الثالث عشر: ما المصارع؟

أجاب سيكوندوس: هو فنان دموي، شهية شريرة، موت سريع، انتصار سيء.

السؤال الرابع عشر: ما القارب؟

أجاب سيكوندوس: هو أخشاب ثلاثية الأبعاد، منزل بلا أساس، قبر جاهز، مصير مقيد، موت عائم، سلامة غير مؤكدة، مسافر وسط الأمواج.

السؤال الخامس عشر: ما البحار؟

أجاب سيكوندوس: هو الشخص الذي يسافر عبر الأمواج، ساعي على البحر، شخص يسير على طريق الرياح، شخص غريب في العالم المأهول، وهارب من الأرض، وخصم للعاصفة، مصارع بحري، شخص غير متأكد من سلامته، جار حتى الموت، عاشق البحر.

السؤال السادس عشر: ما الثروة؟

أجاب سيكوندوس: هي عبء من الذهب، امتزاج الخوف بالأمل، ومصدر عناء يومي، وشيء غير مستقر، وقطعة من سوء الحظ المحبوبة، وشيء مليء بالمآسي الخبيثة، مصدر للحسد والشقاء، مكان مرتفع يحتل السقوط منه، جني المال بلا معنى، عماء مطلق في كل الملذات، ضياع للشخص.

السؤال السابع عشر: ما الفقر؟

أجاب سيكوندوس: هو شيء جيد مكروه، أم الصحة، عائق أمام الملذات، طريقة للحياة الخالية من القلق، حيازة يصعب التخلص منها، مصدر الاختراعات، مكتشف الحكمة، عمل لا يحسد عليه أحد، ملكية لا يُجرث عليها، البضائع التي لا تخضع للضريبة، أرباح لا تُعد ولا تحصى، الحظ الجيد.

السؤال الثامن عشر: ما الشيخوخة؟

أجاب سيكوندوس: هي شر آتى لا محالة، موت حي، مرض صحي، مصير مؤكد، سبيل الموت، جثة في الحركة.

السؤال التاسع عشر: ما النوم؟

أجاب سيكوندوس: هو استرخاء من كدح الحياة، وحكمة اليقظة، وصورة الموت، ورغبة أولئك الذين يكدحون في المشقة، وبقية الروح كلها، والمهنة الرئيسية للأغنياء، الثروة الحاملة للفقراء، موضوع يومي للقلق.⁽¹⁾

السؤال العشرون: ما الموت؟

أجاب سيكوندوس: هو النوم الأبدي، تفكك الجسد، رغبة من يعانون الاضطهاد، رحيل الروح، خوف الرجال الأثرياء، رغبة الفقراء، تفكيك الأطراف، الهروب من الحياة وفقدان حيازتها، والد النوم، تفكك وانهايار كل شيء، شيء لا بد من حدوثه ولا حيلة ولا قدرة للهروب منه.

(1) Dudley, D, A History of Cynicism, p 159.

B.E. Perry, Secundus the Silent Philosopher, The American Philological Association; First Edition edition 1964.

بناءً على ذلك، قام هادريان، بعد قراءة هذه الإجابات عن أسئلته، وبعد أن أدرك سبب جعله الصمت ممارسة فلسفية وهروب من الآلام والاضطهاد، أصدر أوامره بضرورة إيداع كتبه في المكتبة المقدسة في روما تحت اسم سيكوندوس الفيلسوف الصامت.⁽¹⁾

ويمكننا أن نلاحظ من إجابات سيكوندوس مواضع تأثره بالسابقين عليه والمعاصرون له:

ففى إجابة السؤال الأول عن الكون كانت إجابته متأثرة بالفكر اليوناني بوجه عام، أما إجابة السؤال الثاني عن المحيط فنجد بعض الملامح الأسطورية فيه بالإضافة إلى تصور طاليس للماء والمحيط، أما إجابة السؤال الثالث عن الإله فنجد مؤثرات هيراقليطيسية ثم رواقية، أما إجابة السؤال الرابع عن الزمان فنجد مؤثرات فيثاغورية وأفلاطونية، أما إجابة السؤال الخامس عن الشمس فنجد مؤثرات مصرية قديمة وهيراقليطيسية، أما إجابة السؤال السادس عن القمر فنجد تأثره بالفكر الأسطوري والفكر الأرسطي بما هو فوق فلك القمر وما هو تحت فلك القمر، أما إجابة السؤال السابع عن الأرض فنجد تأثراً بالفكر الأسطوري والبطلمي، وذلك في قوله بأن الأرض هي قاعدة الكون لأنها ثابتة كما قال بطليموس، أما إجابة السؤال الثامن عن الرجل فلم يضيف سيكوندوس شيء عن السابقين عليه، أما إجابة السؤال التاسع عن المرأة فنجد متأثراً بالتراث اليوناني كله والتراث الهندي، أما إجابة السؤال الحادي عشر عن الصداقة فنجد متأثر بأفلاطون وأرسطو، لأن الصداقة عند أفلاطون تعنى الحبيب؛ لأن الحب للصديق فقط وعند أرسطو هي فضيلة الفضائل، أما إجابة السؤال العاشر عن الجمال فهو متأثر فيه بأفلاطون، أما إجابة السؤال الثاني عشر إلى السؤال السادس عشر فهو متأثر بالثقافة المحيطة والثقافة العامة وليس فيه أدنى ابتكار أو حكمة، أما إجابة السؤال السابع عشر عن الفقر فنجد تأثير سقراطي وكلبي وبوذي، أما إجابة السؤال الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون فنجد تأثير من الثقافة العامة وليس به أدنى ابتكار أو حكمة.

٣- ديموناكس : Demonax

جاء ديموناكس حوالي عام ٧٠ ميلادية من عائلة قبرصية تتمتع بممتلكات ونفوذ سياسي

(1) Dudley, D., A History of Cynicism, p 160.

كبير، ترك السياسة وكرس نفسه للفلسفة الكلية إعجاباً بأستاذه ديمتر يوس وعيشه البسيط ورفضه للثروة والسياسة، انتقل إلى أثينا، حيث اكتسبت حكمته ومهاراته في حل النزاعات إعجاب المواطنين، ووصف بصانع السلام، وذلك لقدرته على تحقيق الانسجام والتوافق بين الزوج والزوجة، وحل النزاعات بين الأشقاء.

لم يهتم بتصفيق الجمهور له، ونادى برفض العبودية والاشتمزاز منها وسوء معاملة العبيد، وشجع على البساطة في العيش والزهد، لم يكن معروفاً مطلقاً بالغضب الشديد، ولكنه كان يتسم بهدوء العقل، لم يكن يحزنه سوى المرض وموت أصدقائه. (١)

ويعد لوسيان (١٢٥م-١٨٠م) السوفسطائي المحدث هو مصدر معرفتنا الوحيد بديمونا كس، حيث قال أنه عاش حوالي مائة عام، وأنه توفي حوالي عام ١٧٠ ميلادية، من خلال تجويع نفسه، وأعد له الأثينيون جنازة عامة تليق بحبهم له، وكانت زيجات الخبازين وبائعي الخضار والفاكهة يتنافسون في شرف تقديم الطعام له، حباً وليس عطفاً، واعتاد الأطفال أن يطلقوا عليه اسم الأب ويقدمون له الفاكهة.

ويقول لوسيان عندما سُئل ديمونا كس عن الفلاسفة الذين يفضلهم، قيل أنه أجاب: أنا معجب بهم جميعاً. أحترم سقراط ودوجين السينوي الذي اتسم بهدوء العقل والحكمة، والذي استغنى عن كل شيء لإكتساب الفضيلة وتعليمها.

وعندما سأله أحدهم عن من يعتقد أنه رجل سعيد حقاً، أجاب «الرجل السعيد حقاً هو الرجل الحر. أنا أتحدث عن الشخص الذي لا يأمل ولا يخاف شيئاً». (٢)

كان ديمونا كس موضع تقدير عام في أثينا لسلوكه الخير، وعندما أراد الأثينيون إقامة عروض للمصارعين المحترفين في المدينة، فقد نصحهم أن يقوموا قبل كل شيء بهدم هيكل الشفقة Pity. وعلى الرغم من بساطة طرق ديمونا كس المقتصدة القانعة فإنه كان فيما يبدو يتجنب الزهو الفارغ والتظاهر الكاذب. وعندما وقف أمام محكمة أثينا بتهمة الكفر والإلحاد، لأنه امتنع عن تقديم القرابين، ورفض الاشتراك في الأسرار الأيوسية- لكنه رد التهمة بأن الآلهة ليست بحاجة إلى قرابين، لقد كان ديمونا كس كمعظم الكليبيين يهاجم ما ليس

(1) H.W.Fowler & E.G.Fowler.The Works Of Lucian of Samosata,Complete With exceptions specified in the preface, in four volumes, at. the clarendon,press. OXFOrd,1905.frag.7...

(2) Ibid. frag.N.9-7-4-69.

له قيمة للإنسان، لقد هاجموا الحكايات التشبيهية الوثنية المتعلقة بالآلهة ورفضوا المعجزات التي تُنسب إليها، كما هاجموا التنبؤ بالغيب واعتبروا كل ذلك خداع محض.^(١)

ويتضح من الشذرات القليلة التي تحوى آراء ديموناكس أنه شديد التعلق بأفكار سقراط من جهة والكليبيين الأوائل من جهة ثانية والفلسفة الجينية من جهة ثالثة حيث وفاته من الجوع وهو نوع من الانتحار أكدت عليه الفلسفة الجينية.

٤- أونوماوس: Oenomaus of Gadara

ازدهر أونوماوس حوالى ١٥٠ ميلادية والمولود في جدارة بسوريا (اليوم أم قيس والجدارة هي جماعة يونانية استقرت في شمال الأردن).

هاجم أونوماوس الحكايات التشبيهية الوثنية المتعلقة بالآلهة، وهاجم بعنف إحياء الإيمان بالتنبؤ بالغيب والمعجزات قائلاً: إن المعجزات هي خداع محض، بينما الإنسان على أية حال يمتلك إرادة حرة، والإنسان وحده- مسئول عن أفعاله.^(٢)

لم يكن أونوماوس ملحداً أو كافراً بالآلهة ولم يدعو إلى ذلك، ولكنه كفيلسوف كلبى كان ناقداً لأفعال البشر التي لا تتفق مع أي عقل بشري فنجده يقول: « كم هي غريبة غرائز الآلهة، كما يصورها الكهنة والعرافيين؛ إن النبؤات الخادعة أكثر خبثاً، إن الكشف عن المحتالين لا يخلو من المرارة والآلم، نظراً لتحالف الكهنة ومن لا يملكون عقلاً من البشر، إن الحديث عن النبؤات التي تحظى بإعجاب جميع الإغريق تنطلق من الخفاء؛ ولا علاقة لها بالإله؛ إن الكهنة محتالين نجدهم يمدعون كل إنسان بما يذهب إليهم من أجله، فيهيئونه للخدعة التي تتناسب مع ما جاء من أجله؛ هل وجدت يوماً كاهناً يصدك ويُرجعك عن خرافاتك بقوله ما علاقة الإله بهذا؟!^(٣).

وأيضاً قوله: « لم تكن وظيفة الكاهن متاحة من الآلهة لكشف غموض المستقبل، وتحقيق حاجة الإنسان، ولكن الجنس البشري بطبعه غامض يهوى الخدع والاحتيال.....

.....إذا كان زيوس إله شجاع، فلماذا يخشى أن يتعرض معبده للمخاطر؟ ولماذا يُصر الكهنة على الأضحى إذا كان زيوس لا يُطعم منها؟.....

(١) د. مصطفى النشار. فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة. دار الثقافة العربية. القاهرة. ص ٢٨٨.

(٢) فردريك كوبلستون. تاريخ الفلسفة م ١. اليونان وروما. ص ٥٨٤.

(3) Oenomaus of Gadara. XXXVI Lucian. The Discourses.

..... إذا كان الإله يعلمُ حرب الإغريق ضد بعضهم البعض نظراً لغضبه عليهم
كما أدعى الكهنة؛ فمن سمات الإله أن يتسم بالسلام والصدقة.....
..... إذا كان الإله يشن الحرب علينا، فما حاجتنا إلى عبادته والتضحية من أجله
كما أوهمنا به العرافين.....

..... إن حيلة العرافين دائماً تُرجعك إلى الزمن القديم، لكي يثبت لك أن الأقدمين
كانوا كذلك؛ لماذا لم يثبت العراف حيلته في نفس الوقت؛ فنجد مريضاً يشفى في نفس الوقت
ويتبدل حاله، وتتحوّل الهزيمة إلى نصر في نفس الوقت!!^(١)

وعن الفلسفة والفلاسفة نجده يقول: « عندما ترتبط الحكمة بالعرافة؛ فلا تنتظر إلا كل
ما هو عشوائي. ».

وأيضاً قوله: « الفلسفة هي التي تحدد مصير الإنسان، وليست خرافات الكهنة، وبدون
الفلسفة تضعيع الحياة البشرية، بسبب رغبات وشهوات البشر التي لا حد لها؛ مما يجعلنا نفقد
القوة الحاكمة لحياتنا. ».

على أية حال: لم تكن كلية أونوماوس إزدراء تام لكل ما هو إنساني وإلهي، بقدر ما
كانت نقد بناء لما نُسب خطأً من الكهنة للآلهة، وإيقاظ العقل البشري وتطهيره من الخرافات
والشهوات التي أفسدت حياته، وكادت تُنهى الجنس البشري من خلال الصراعات المزعومة
من الآلهة.

لم يكن أونوماوس إلا كلباً يقظاً ينبح ضد فساد الكهنة وفساد البشر، ليوظ ما بداخلهم
من إرادة حرة تحدد مصير الإنسان وتتحكم في رغباته وشهواته التي لا حصر لها، بل بالأحرى
تلك الإرادة التي تحدد مصيره.^(٢)

ويمكننا أن نلتمس المؤثرات السقراطية في حديث أونوماوس ولا سيما في دفاعه عن
الفضائل الإنسانية وتكذيبه لخرافات الكهنة، شأنه في ذلك شأن السوفسطائيين الذين شككوا
في الأساطير التي نُسجت حول طبيعة الإله.

(1) Oenomaus of Gadara. xxxv. Lucian. The Discourses..

(2) Dudley, D., A History of Cynicism, p 162.

٥- بيريجنوس : Peregrinus Proteus

ولد بيريجنوس في باريوم من ميسيا عام ٩٥ ميلادية. والذي يدعى بروتيوس، اتهم بأنه قتل والده، واضطر إلى مغادرة منزله ومدينته، وخلال تجواله وصل إلى فلسطين واتصل بالمسيحيين حيث قدم له المسيحيون الكثير من المساعدات، عانى من السجن على يد السلطات الرومانية، وربما كان يتوقع إعدامه، ولكن حاكم سوريا أطلق سراحه نظراً لحالته الرثة، مؤكداً أنه مختلٌ عقلي، ويبدو أنه أصبح كليياً في هذه المرحلة.

ثم عاد إلى منزله ورفض ميراثه حيث منح كل أمواله لأهالي مدينته، واستأنف حياة التجوال، وساء إلى المسيحيين وهاجمهم وطرد من المجتمع المسيحي، ثم ذهب إلى مصر للدراسة مع الكلبي المشهور أجاثوبولوس Agathobulus ازدهر حوالي ١٢٥ ميلادية، حيث تعلم معه الزهد القاسي للكلبيين، ثم عاد إلى روما وبدأ حملة من الإساءات ضد السلطة الرومانية وخاصة الإمبراطور أنطونيوس بيوس الذي طرده من المدينة، ثم ذهب إلى إيليس في اليونان، حيث واصل الوعظ المعادي للإمبراطورية الرومانية.^(١)

وفي الألعاب الأولمبية عام ١٥٧ ميلادية أساء إلى هيروديس أتيكوس محب الخير الثري، وهاجمه أتباع هيروديس وهاجر إلى أثينا وكرس نفسه لدراسة وتعليم الفلسفة الكلبيّة، وأعلن في عام ١٦١ ميلادية أنه سيحرق نفسه علانية حتى الموت في الألعاب الأولمبية التالية، وفي الليلة الأخيرة من الألعاب الأولمبية عام ١٦٥ ميلادية تجرد من ملابسه ووضع نفسه في محرقة الجنائز، وشاهد لوسيان هذا الحدث بنفسه.

من أقوال بيريجنوس: « الرجل الحكيم لن يرتكب خطيئة، حتى لو خالف الآلهة، لأنه كان يعتقد أن على المرء أن يمتنع عن الخطأ، ليس من أجل الخوف من العقاب أو الخزي، ولكن من حب العدالة والصدق والشعور بالواجب. »^(٢)

إن عرض لوسيان لبيريجنوس يضع أسوأ تأويلاً لسلوك الكلبيين في شخص بروتيوس الذي مال إلى الشهرة والمجد والغرور القاتل، والذي أمتد تأثيره حتى القرن الرابع الميلادي عندما أعجب به سيمونيدس الذي أحرق نفسه في عهد الإمبراطور فالينس عندما سئم من الحياة

(1) The Discourses. Peregrinus Proteus. Ch.7.vii Lucian.

(2) The Discourses. Peregrinus Proteus. Ch.8.viii Lucian.

الطاغية والكئيبة، وكل ما هو كارثي، ففعل ما فعله بروتيوس حارقاً نفسه حياً لكي يتخلص من البشر الحمقى.^(١)

٦- سالوستيوس: Sallustius Of Emesa

عاش سالوستيوس فيما بين ٤٣٠م-٥٠٠م، وكان والده الذي يُدعى باسليديس ووالدته التي تُدعى ثيوكليا من أهل إميسا، وترك سالوستيوس دراسة الطب، وأتقن مهنة الخطابة، حتى صار خطيباً بارعاً أعجب بالسوفسطائيين في عصره، ثم أُعجب بالأفلاطونية المحدثة وتعلم على يد برقلس؛ ثم عاد إلى أثينا بعد استقراره في الإسكندرية هاجم الأفلاطونية المحدثة ومال إلى الكلية وأسلوبها الزاهد في الحياة وسعيها نحو الفضيلة الحقة.

تظاهر سالوستيوس بالعرفاة والكهانة حيث أعلن أنه قادر على معرفة وكشف الإنسان الصادق من المخادع والكاذب دون أن يتحدث، وأيضاً إذا نظر إلى عين الشخص وتأمل فيها يستطيع أن يحدد بأي طريقة يموت هذا الشخص.

ويقول سيمبليقوس أن سالوستيوس كان يضع فحماً مشتعلًا على فخذه، في محاولة منه لمعرفة كم من الوقت يُعد قادراً على تحمل الألم، إيماناً منه بمبادئ الكلية الصارمة في تحمل الألم للوصول إلى الفضيلة.

ويظهر هنا تأثر سالوستيوس بالهندوسية؛ ويبدو ذلك في وضعه الفحم المشتعل على فخذه أي إيلام البدن، رغبة في التحرر منه.

الخاتمة

لا غرو في أن الحديث عن المدارس المنبثقة عن التيارات والأنساق الفلسفية الكبرى والمدارس العظمية أنها تأتي ببعض من الأفكار المركبة من تصورات ورؤى متأثرة بثقافات محيطية. الأمر الذي يمكننا الحكم عليها بأنها مدارس توفيقية في الأغلب، إبداعية في مواضع محدودة. ولعل هذا الوصف ينطبق على المدرسة الكلية الرومانية.

(1) Malherbe, Abraham J., the Cynic Epistles; A Study Edition, Montana: Scholars Press, 1977.p.59.

58-Simplicius. On Epictetus Handbook 1-26, translated by Charles Brittain & Tad Brennan, Gerald Duckworth & Co. Cornell University Press. London 2002.ch.14.p168.

- ١- إن معظم ما أتى به أعلامها في شتى مراحل تطورها لا يخرج عن كونها رافداً من روافد المدرسة السقراطية التي تقدم الخطاب الأخلاقي الزاهد عن غيره من الخطابات الفلسفية (الوجود - المعرفة).
- ٢- إن الأثر البوذي الجيني لا يمكن إنكاره في كتابات الكليبيين الهلينيستيين ويبدو ذلك في حديثهم عن التقشف والتربية العملية للنفس، وإهلاك البدن والجوع والانتحار والصمت، والرياضات الروحية.
- ٣- إن موقف الكليبيين من المرأة لا يختلف عن موقف معظم الهلينييين والهنود، فهي نظرة إزدراء واحتقار ترد إلى الأساطير الهومييرية في المقام الأول.
- ٤- إن الأثر الرواقي على الكليبيين يبدو بوضوح في حديثهم عن وحدة الوجود وطبيعة الإله، فالوجود عندهم كيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته بما في ذلك الإله.
- ٥- إن نقاداتهم للثقافات السائدة في عصورهم ترجع إلى زهدهم في المطامح والمطامع وعدم خوفهم من العقوبة أو الموت، فالصدق عندهم عقيدة تطبيقية يجب البوح بها، الأمر الذي جعل معظم معاصريهم اتهامهم بالجحود ونقض الآلهة والإلهاد والنقد اللاذع، شأنهم في ذلك شأن معظم آراء سقراط.
- ٦- إن دعوتهم للحرية تجاوزت التصورات السابقة عليهم، وذلك لأنهم اعتبروها شعوراً أو التزام داخلي، لا شأن له خارج النفس، فكثيراً من العبيد يحملون نفس حرة غير مقيدة بالردائل أو الشهوات، في حين أن هناك ملوك ونبلاء مكبلين بالمطامع والشهوات والردائل التي استعبدتهم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأجنبية والمترجمة إليها

- 1- Diogenes Laertius..Lives of Eminent philosophers. Vol. 4 Translated by. R.D. Hicks, the loeb classical library, william Heinemann, Harvard university press New York, 1979
- 2- EPICTETUS. The Discourses as Reported by Arrian, 2 vols., trans. W. Oldfather, London, Heineman, 1926.
- 3- Dio Chrysostom, Discourses II, with an English Translation by. J. W. Cohoon, Loeb Classical Library.. Harvard University Press. 1932.
- 4- DIO CASSIUS, Dio's Roman History, trans. E. Cary, Cambridge MA, Harvard University Press, 1968.....
- 5- Plutarchs, Moralia, vol.2 with An, English translation by. E. c. Babbitt. The loeb classical library.Harvard. University press London.1933.
- 6- PLUTARCH, Fall of the Roman Republic, trans. R. Warner, Penguin, Harmondsworth, 1985.
- 7- Philostratus, The life of Apollonius of tyana, the epistles of apollonius and the treatise of Eusebius, 2 vol, translated into English by. f. c. conyBeare, the Macmillan co. New York. 1912.
- 8- Lucian, Fugitivi,Translated: by. H.W.Fowler & F.G.Fowler.The Works Of Lucian of Samosata,Complete With exceptions specified in the preface, in four volumes.1905.
- 9- SENECA, Epistulae Morales, trans. R. Gummere, Vol II, Cambridge MA, Harvard University Press, 1962.
- 10- SENECA, De Finibus. The loeb classical library.Harvard. University press London.1962...

ثانياً: المراجع الأجنبية والمترجمة إليها

- 1-ADCOCK, F.E. Roman Political Ideas and Practice, Ann Arbor, University of Michigan Press, 1964.

- 2- Armstrong, A.H., «Hellenistic Philosophies (I). Cynics and Stoics», in: An introduction to Ancient philosophy, London: Methuen & Co Ltd., 1965.
- 3- B.E. Perry, Secundus the Silent Philosopher, The American Philological Association; First Edition edition 1964..
- 4- Dudley, Donald B., A History of Cynicism; From Diogenes to the 6th Century A.D., London Methuen & Co., 1937.
- 5- Dennis Schutijser. Cynicism as a way of life: From the Classical Cynic to a New Cynicism. Akropolis. 2017...
- 6- FLEW, Antony (ed.) A Dictionary of Philosophy, London, Pan, 1979.
- 7- KOESTER, Helmut Introduction to the New Testament: Vol. I, History, Culture, and Religion of the Hellenistic Age, N.Y., Walter de Gruyter, 1987.
- 8- WIRSZUBSKI, C. Libertas as a Political Idea at Rome during the Late Republic and the Early Principate, Cambridge, CUP, 1950.
- 9- R. Bracht Branham and Marie-Odile Goulet-Cazé. The Cynics. The Cynic Movement in Antiquity and Its Legacy. UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS. Oxford.1997..
- 10- W.K.C. Guthrie, A History of Greek Philosophy.vol. 3. Cambridge 1969.
- 11- B.E. Perry, Secundus the Silent Philosopher, The American Philological Association; First Edition edition 1964..
- 12- W. Matson: A New History of Philosophy, Fort Worth: Harcourt College Publishers, 1987.
- 13- Michel Onfray: Cynismen, Baarn: Ambo, 1992.
- 14- Malherbe, Abraham J., the Cynic Epistles; A Study Edition, Montana: Scholars Press, 1977.
- 15- Branham, Bracht, «Cynics», in: G. Edward (ed.), Routledge. Encyclopedia of Philosophy, London/New York: Routledge,p. 753-759
- 16- R. Bracht Branham and Marie-Odile Goulet-Cazé. The Cynics. The

Cynic Movement in Antiquity and Its Legacy. UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS. Oxford.1997..

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة إليها

- ١- فرديريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة. م اليونان وروما. ترجمة د، إمام عبد الفتاح إمام. المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة عدد ٤٣٦. القاهرة ٢٠٠٢.
- ٢- برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية. ك.١. الفلسفة القديمة. ترجمة د/ زكي نجيب محمود. مراجعة د/ أحمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ٢٠١٠.
- ٣- ديوجين لائرتيوس: حياة مشاهير الفلاسفة المجلد الثاني.. ترجمة. إمام عبد الفتاح إمام. مراجعة محمد حمدي إبراهيم. المركز القومي للترجمة. القاهرة. ٢٠٠٨.
- ٤- وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية. ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد. المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع. بيروت. ١٩٨٧.
- ٥- د/ توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها. دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. ١٩٨٥.
- ٦- ريكس وورنر: فلاسفة الإغريق. ترجمة عبد الحميد سليم. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٨٥.